منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2353) السنة التاسعة - الاربعاء (4) كانون الثاني 2012

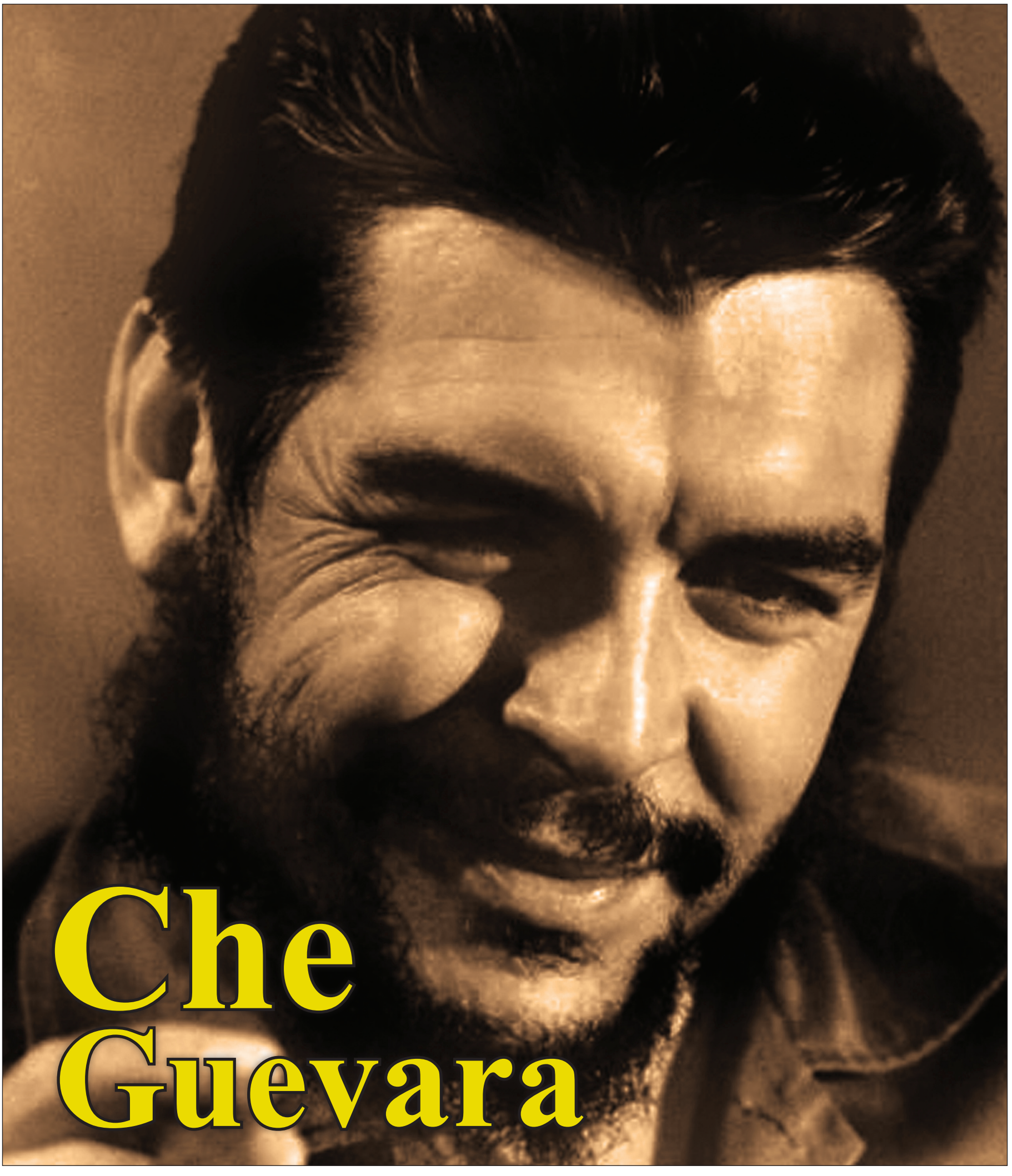

Che Guevara

جيفارا
رجل عادي
لكنه مجنون بالثورة والحب

لو كان السؤال عن اهم ما في كتاب "أحلامي لا تعرف حدودا" للمؤلفين "هـ.أ.غروس" و"ك.ب.فولف" لكانت الإجابة على الفور: معرفة كيف تحول صبي يلقبه ذووه بـ"تي تي" الى رمز للثورة ومجابهة الطغيان في العالم. بل إن ذكر اسم جيفارا، مجردا، يوفر، حتى اليوم، شحنة عاطفية هائلة من الحماسة والاغتراب في آن واحد.

هذه سيرة ذاتية اخرى عن أرنست تشي جيفارا، وبرغم انتقالها بين محطات تاريخية من عمر الثائر الارجنتيني - الحالم أول الأمر بوحدة لاتينية - فأن المؤلفين حاولا، كثيرا إظهار قاسم يجمع تلك السنوات المتتابعة، انه ذلك السخط، الذي لم يعرف الخذلان، على ظواهر الظلم في العالم.

عرض منارات

هكذا يدخل غروس وفولف مباشرة في ثيمة عملهما المتقن عن سيرة جيفارا، ولا يخرجان عنها مع انتقال الرواية بين عوالم سرد مختلفة تارة، وجعلا جيفارا يبدو في أحايين غير قليلة رجلا متناقضا، بل لنقل رجلا عاديا، لكنه يحلم بالتغيير. يتخرج جيفارا في كلية الطب في بوينس آيريس ويجد نفسه، بعد ان انهى الامتحانات النهائية، طبيبا. وفكر في ان يبدأ بصياغة دوره في هذا العالم، لكنه بحاجة الى دافع، بل الى حافز..

في حانة ما "يلتصق جيفارا بصديقه كاليكا" وهناك يقترفان المتعة مع شرب النبيذ، وكان الامر مسليا بالنسبة لارنست سوى انه اكتشف، لاحقا، افتراقه، فكريا، عن شريكه الجديد.

دور كاليكا في مطلع الرواية مهم للغاية، فهو نقيض ارنستو، ما يعني ان الحوارات التي ستجمعهما مليئة بالاستفزاز، على الاقل من ناحية ارنستو: "اتعرف يا ارنستو.. اول عمل ساقوم به هو تجميع الثورة .. البناء في فنزويلا يفوق الوصف، الناطحات تحيط بكاراكاس، سنبني حتى لو انتهت الارض، سنهدم تلك البيوت الحقيرة".

كاليكا مهندس يحلم بالتحول الى شخص ثري يجمع الاموال راكبا ثورة البناء في بعض المدن اللاتينية، لكن ارنستو يرى غير ذلك ويلمح الى شخص يحلم بثورة من نوع اخر: "ما عسانا نفعل بأولئك الذين يعيشون في هذه البيوت الصغيرة؟ أيذهبون معكم لبناء هذه الناطحات؟ وهل سيعيشون فيها أيضا؟".

صورة جيفارا

يبدو هذا الكتاب فرصة ذهبية لاضفاء تواصل فريد مع جيفارا، وهنا لابد من القاء عين لامة على طبيعة التأثر بشخصيته، إذ لم تكن سيرته سوى محض مقولات ثورية مشحونة بالحماسة يجري

بذلها في أفاق تعبوية في مراحل تاريخية معينة، لم يكن هذا التواصل مقرونا بضوء وفير على حياة هذا الرجل، لطالما كان جيفارا، بالنسبة لاجيال نشأت في فترات لاحقة من اعدامه مجرد صورة شهيرة تزين قمصان الفتيان. الامر بهذا القدر، او ربما أقل، كان على هذه الشاكلة التواصل المعاصر مع جيفارا.. وهذا تحريض علني للاتيان بما سطره غروس وفولف في كتابهما الذي نشرته دار الفارابي ونقله الى العربية نبيل الخطيب.

بيد ان هذا الكتاب يتميز من ناحية اخرى بكونه يوفر مجموعة من الصور عن "تشي"؛ المؤلفان تعمدا الخروج عن اطارين بذلا في شان حياة جيفارا، مرة يظهر قائدا ثوريا ورجل دولة، ومرة يظهر على انه راديكالي متهور، هذا الكتاب يجمع الصور جميعها ويترك لنا تجميع حياة جيفارا في انسان، هذه الطريقة تبدو أقرب الى الواقع، فكل منا فرد بمجموعة صور وانطباعات.

وكانت صورة تشي تتغير من عقلاني فوق العادة، متناقض، ثوري حالم بنصرة المزارعين الفقراء، مجرد مراهق فضولي يعيش حالة اغتراب عارمة.

ويواجه هذا الكتاب سيلا من الشهادات والمذكرات والأساطير، والأحداث الميدانية والتاريخية المتعلقة بأرنست، وهو يقدم الأسئلة عن سر اختيار إرنستو جيفارا لهذا الخط في الحياة، وسر اختياره لهذا المصير.

أتذكرون مقولة جيفارا الشهيرة:"أنني احس على وجهي بألم كل صفعة توجه الى مظلوم في هذه الدنيا". بالنسبة لهذا العرض – التعليق فانه لم يتمكن من تجاوز وصف المؤلفين لبواكير صباأرنست، من دون ان يعود أليها، من دون ان يربطها ويتخيل التنشئة الاولية لهذا الرجل.

غروس وفولف يعودان بنا الى الوراء"كان ارنست يلاعب اخاه الصغير روبرتو، والملل باد على وجهه". يفصح لاخيه عن عدم رغبته في اللعب اكثر ويقترح عليه الذهاب الى منزل الجيران، حيث العادة ان يعقد اجتماع للسكان هناك.

" كانت الاصوات التي تخرج من المنزل لا تدل على جو مرح وضحك"، جيفارا في تلك الفترة لم يكن قد تجاوز السنوات الخمس وكانت تشده قضايا تؤشر الاحتجاج والرفض، وكان السكان يناقشون زيادة أسعار الكهرباء، وقرروا تحطيم أعمدة الإنارة في المدينة كي تضطر شركات الكهرباء الى اصلاحها ودفع الغرامة المالية، في تلك الاثناء كان جيفارا يستمع الى تلك النقاشات الحامية وهو يتمدد تحت أريكة والده. في هذا المفصل من الكتاب يحسن غروس وفولف اظهار شغف أرنست بمعرفة قضايا الافراد.

دونكيشوت

لم يكن جيفارا فضوليا ايجابيا وحسب، كان مهووسا بالمعرفة، التوق الى عبور حدود المجتمع الصغير نحو عوالم اخرى، لم يكن يعرفها.

لقد مل من لعبة "رنين الزجاج المحطم" وانتقل الى ممارسة هواية جديدة. اخذ أرنستو يقرأ كتابا ضخما من مكتبة والده وكان عن دونكيشوت.

وكانت رغبة غروس وفولف واضحة في اظهار هذا الفضول:" جيفارا متعلق بالثقافات القديمة اكثر من أي وقت اخر (الزمان: عقب تخرجه في كلية الطب) إذ انه يرى في دراستها امكانية التعرف على امريكا اللاتينية وتاريخها، كان يرغب في فعل ذلك وكانه في تنافس مطرز بالاحتجاج، اذ يقول لصديقه كاليكا:" علينا فعل ذلك.. ما رأيك بالسفر، لنقم بذلك معا".

وكان هذا ما حدث فعلا لجيفارا الذي جاب امريكا اللاتينية بدراجة نارية، وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بوحدة أميركا الجنوبية وبالظلم الكبير الواقع على المزارع اللاتيني.

جيفارا يكره الطائرات

يبدو مثيرا للاهتمام ما تناوله غروس وفولف في اعدادهما لقصة سفر جيفارا فقد استهلا هذه الرحلة بإظهار لطف جيفارا الذي لا يخلو، أيضا، من الاحتجاج، فارنست يرفض السفر بالطائرة، ويضع هذا الرفض كشرط لشراكة الرحلة مع الصديق كاليكا، يقول ارنست:"عندما عدت من الولايات المتحدة الى هنا (بوينس ايرس) اخذت الطائرة تدور كعقارب الساعة، ولكثرة التحليقات الدائرية التي قامت بها فوق الدرج، هرعت سيارات الاسعاف والاطفاء، تخيل حالتي حينها.

وبقدر ما يتعلق الامر ببساطة أرنست وحكاياته الشخصية، فانها لا تخلو من روحه الثائرة:"أسوأ ما في الامر ان الواحد منا كان عبدا للظروف، لا يستطيع القيام بأي شيء".

مغامرة تشي الأولى

في الطريق من بوليفيا الى الاكوادور، تعرف جيفارا على نفسه كثيرا، واكتشف طموحه في عبور اطاره المحلي، في قرية صغيرة على الحدود اضطر تشي واصدقاؤه الى المكوث فيها لحين تسهيل امر خروجهم من البلاد لاكمال الرحلة، وفي مطعم صغير قرروا الاستراحة حتى الصباح. وكانوا ينتظرون المساعدة من احد المحامين، انهم بحاجة الى المال ليكملوا رحلتهم، وقد استثمر تشي إن احد شركاء رحلته يملك رسالة سلفادور الليندي، وهو قائد اشتراكي تشيلي، الى المحامي اياه.

تحقق المراد، وخرج الجميع، رفقة أرنست، من مكتب المحامي وهم يطيرون من الفرح، اخذوا يرقصون حتى صاح أرنست:"كل شيء على ما يرام .. ست تذاكر مدفوعة الثمن إلى سفينة الموز – وهنا يقصد الإكوادور – أريد كأسا من النبيذ حالا، أريده مثلجا كالجليد.

أفصح أرنست عن رغبته في السفر إلى غواتيمالا للقاء صديقه غرانادوس، هناك يريد ان يصبح طبيبا، غير ان كاليكا ذكره بما يجري تحت سلطة اليانكي الذي بدأ، في وقتها، بفقدان سلطته، فيما تتهيأ الأمور لثورة حقيقية.

في هذا المقطع من الرواية يجيد غروس وفولف إظهار الروح المراهقة الحقيقية لتشي، لكنها تميل الى الثورة بكثير من الحماس.

كاليكا وبحديثه عن الثورة، وهو الرجل الطامح الى المال بميول رأسمالية أحرج تشي، لكن هذا الأخير يعود الى أحلامه:" أرجو الانتباه.. التهرب من رؤية الثورة الحقيقية شيء مخجل. وعلى صديقي غرانادوس ان ينتظر، فالى غواتيمالا".

جيفارا مترجماً

من المثير ان نعرف ان الثائر الذي "داخت" من جولاته أحراش العالم، له فضائل ابداعية أخرى، انه مترجم وشاعر وكاتب مقالات سياسية. هذه المرة يهم بترجمة كتاب عن الماركسية الى الإسبانية:" ماذا تفعل يا جيفارا؟" تسأله "إلدا" الباحثة في معهد اقتصادي بغواتيمالا. "اترجم كتابا عن الماركسية للغة الاسبنايية".

وكان ارنست قبل ذلك يقرأ بطريقة حماسية؛ شفتاه تتحركان وكأنه يتحدث مع نفسه، ومن حين لآخر يلقي بالكتاب جانبا ويسجل ما قرأه مترجما.

وهنا يفتح غروس وفولف الباب واسعا امام اظهار عقيدة تشي:" مؤلف هذا الكتاب أثارت الرأسمالية غضبه، وهو يريد ان تكون الدنيا مختلفة تماما عما هي في بلاد اليانكي، وهذا ما شدني اليه".

جيفارا المريض

هذه الرواية أخرجت تاريخ جيفارا من القالب التقليدي، الذي لطالما بذل من اجل اقنية تعبوية، من دون ان يفسح المجال لتلمس شخصية جيفارا.

ففي الطريق من المكسيك الى كوبا، وكان عدد من المقاتلين يقودهم فيدل كاسترو صحبة ارنست يتجهون الى الدولة الثائرة على متن سفينة، وكانوا يخططون لتهريب السلاح.

لكن أرنست يلوم نفسه على مرض الربو الذي صاحبه منذ الطفولة:"بالقرب من الحمام راودته فكرة الاغتسال، كان متسخا بعد سفر طويل، لكن النوبة لازمته حينها وبدا صوت الاستفراغ يوقظ المقاتلين النائمين، شعر أرنست بالغضب وبدأ يلوم نفسه". حتى ان فيدل حين اراد ان يتلو بيانا عن الثورة في كوبا لم يتمكن تشي من إكماله للسبب نفسه.

النهاية المثيرة

تنتهي الرواية بشكل غاية في الروعة، على الصعيد الفني، أذ يستدرجك من دون لبس او تلاعب في الشكل الفني للسرد، الموضوع جد واضح منذ فقدانه السلاح بمعركة في بوليفيا. كان كل شيء يستدرجك منذ دخول تشي غرفة الأسر في مدرسة بمقاطعة بوليفية حيث دارت قبل ذلك بساعات معارك طاحنة بين الثوار والجيش، وكان جيفارا يتحاور مع عناصر المخابرات الأمريكية في غرفة الاعتقال، بلهجة فيها الكثير من الكبرياء، ورغبة عارمة في التحدث معهم عن "الإمبريالية الأمريكية" وحقيقة اهداف الثوار، كان يرغب، بينما يتلقى لكمات عنيفة من الجنود، ان يتحدث معهم عن محو الامية والاصلاح الزراعي وهموم الفقراء. لكنه شعر بفشل مثل هذه المحاولات فتحول الحوار الى سؤال تهكمي وجواب مزدر. ظل أرنست يطاول في شكيمته حتى دخل احد الكوبيين المهاجرين وكان ثملا ليمطر بطنه بوابل من الرصاص، لم يمت، لكنه نزف وشعر بالإعياء، فهدأ الالم، سوى ان نوبة الربو عادت إليه وأفاقت كل الجروح، عاد الثمل الخائف الى الغرفة، ووضع الفوهة في صدغه، أفرغ الحمولة فمات جيفارا.

أتذكر هنا مقولة شهيرة اخرى لتشي:"فعلاً، أنا مغامر، لكن من طراز مختلف عن المغامرين الساعين وراء نزوات فردية عابرة، إذ إنّني أضحّي بكلّ شيء من أجل الثورة والنضال المستمرّ".

تفسر كلمات تشي تطور وعيه منذ صباه حتى يوم مقتله بطريقة دراماتيكية مثيرة. وبرغم ان الكتاب فلت من اللغة التعبوية، وحاول ان يظهر ان لتشي سمات اعتيادية فهو ايضا رجل بعيوب، لكن هذا العمل لم يستطع إغفال حقيقته القوية، رحيل جيفارا، وهو ذات الامر الذي انتهت اليه الرواية، شكل بداية مثيرة لأحلام أجيال عديدة، كما كان هو أيام نضاله. هذا الكتاب، نجح في ايصال فكرة الاحلام التي لاتموت، برغم تلك الميتة المؤلمة التي عاشها تشي.

كانت الاصوات التي تخرج من المنزل لا تدل على جو مرح وضحك"، جيفارا في تلك الفترة لم يكن قد تجاوز السنوات الخمسن وكانت تشده قضايا تؤشر الاحتجاج والرفض، وكان السكان يناقشون زيادة أسعار الكهرباء، وقرروا تحطيم أعمدة الإنارة في المدينة كي تضطر شركات الكهرباء الى اصلاحها ودفع الغرامة المالية، في تلك الاثناء كان جيفارا يستمع الى تلك النقاشات الحامية وهو يتمدد تحت أريكة والده. في هذا المفصل من الكتاب يحسن غروس وفولف اظهار شغف أرنست بمعرفة قضايا الافراد.

الكفاح حتى الموت .. صوتان لسيرة واحدة

يوجينيو رينزي
ترجمة : جودت جالي

قدم المخرج الأمريكي ستيفن سوديربيرغ (سيرة) جيفارا في فيلمين هما (شي الأرجنتيني) و (شي المغوار) ٢٠٠٨ . يقول جيفارا في بداية الجزء الثاني (حين تكون الثورة حقيقية فعلى المرء أما أن ينتصر أو يموت)، وهكذا يصلنا في الواقع صوتان من هذا العمل.. صوت النصر في (الأرجنتيني) الذي يبدأ بمقابلة يقوم بها صحفي أمريكي مع جيفارا الذي كان وقتها وزيرا في الجمهورية الاشتراكية الكوبية. يسأله الصحفي سؤالا فيبتسم القائد وهو يضع سيجارا في فمه. يطلق نفثة من الدخان ويشرع في (فلاش باك) بتذكر تأريخ الثورة الكوبية. تواصل المقابلة تتبع مآثر جيفارا منذ الأيام الأولى حين كان يعالج الجرحى في جبال سيرا مايسترا وحتى الانتصار في سانتا كلارا.

وصوت الموت يكون في فيلم (المغوار) حيث يروي جيفارا مغامرته البوليفية المأساوية. نسمع الصوت متوحدا وهو يقرأ بصيغة المتكلم والزمن المضارع صفحات من يومياته معتبرا مصرعه الخاص عودة الى البداية من القائد الى المعلم الى الطبيب. نرى في النهاية جيفارا وقد أنهكه المرض، يستند الى جذوع الأشجار وهو يسير بجسم مرتجف ويسعل، وهكذا كنا قد رأيناه في بداية جزء (الأرجنتيني) أيضا.

أن صوت جيفارا في الفيلمين هو في الواقع نبرتان، نبرة سعيدة ونبرة محبطة. تفرض مادة القصة بحد ذاتها هذا التقسيم وهذا الثنائي الجمالي. بين ظلمة الغابة التي لاتخترق من قبل العدو في (الأرجنتيني) والقمم المكشوفة المشمسة في (المغوار)، وبالتالي نحن أمام متضادين دراميين هما التفاؤل والتشاؤم، وحالين هما الأمان وفقدانه. بين هاتين المثابتين وظف سوديربيرغ كل مواهبه الأخراجية للتحرك بينهما بحيث نشعر بالرابطة العضوية بين الجزءين. أن (جيفارا) سوديربيرغ يذهب الى المعركة مسلحا بمنطق التناقض الهيجلي ففي كل لحظة يتوجب على جيفارا أن ينتج تعارضا جدليا، أطروحة فكرية جديدة. يقتنع المشاهد منذ بداية الجزء الأول بأن هذين الصوتين هما جانبا التكامل لصوت واحد ولا يكفان عن التصارع فوق الصورة. ينزل جندي بضعة أمتار أسفل المكان الذي يحتمي به قائده جيفارا. لحظة

جيفارا وزمن الحلم..

جمال ناجي

واحد وأربعون عاما مرت على رحيل المناضل الأرجنتيني ارنستوتشي جيفارا ، الذي مثل نموذجا مشرقا في ثقافة أجيال العالم الثالث وربما في ثقافة أوروبا وأمريكا أيضا. هذا لا يعني الكثير ، وربما كان المقياس الزمني هو آخر ما يمكن التفكير به عند تذكر من تركوا بصماتهم على صفحات التاريخ ، خصوصا حين يكون تأثير موتهم أكثر من تأثير حياتهم . لكن ما الذي يدعو بعض الجهات والمؤسسات السياسية والثقافية والفنية والتجارية أيضا - في اوروبا وأمريكا - الى استذكار جيفارا وإقامة الندوات عنه ، واحياء ذكراه التي صادفت في التاسع من نوفمبر / تشرين الثاني الماضي؟

السياسيون يرون في جيفارا رمزا ثوريا وظاهرة سياسية مميزة في القرن العشرين، ويجدون في «الغيفارية» ما يشبه النظرية السياسية الماركسية القائمة على حالة نضالية رومانسية انتشرت في بلدان عدة من العالم وتركت أثرها في أكثر من مكان.

المثقفون وجدوا أن جيفارا – الطبيب وسليل الاسرة البرجوازية – مثالا للثوري الحالم المثقف ، والاكثر تبصرا وتعقلا وقدرة على التنظير والتثقيف من رفيق سلاحه فيدل كاسترو العفوي الذي يمتلك قدرات استثنائية على القيادة والتحريض. وبطبيعة الحال فقد أصدروا العديد من المؤلفات والكتب التي تناولت حياته وسيرته ومقتله وكتاباته وخطاباته ورسائله التي كان من بينها «رسالة الوداع» المؤثرة التي وجهها الى الشعب الكوبي والى عائلته معلنا فيها ان مهمته الثورية في كوبا قد انجزت ، مع الإعتذار عن تسلم المناصب السياسية في اول حكومة ثورية يشكلها كاسترو في كوبا بعد تحريرها من نظام باتيستا.

الان ، وبعد مرور واحد واربعين عاما على مقتله ، تحضر صورة جيفارا الشهيرة الجذابة بكثافة في أماكن كثيرة من العالم ، لكن حضورها يبدو مدججا بالمعاني المتناقضة في كثير من الأحيان ، فهي لم تعد ترمز إلى الثورة اوثقافتها او رومانسيتها وحسب، إنما تحولت الى ما يشبه الماركة السياسية الثقافية والتجارية ايضا ، فالشبان في كثير من بلدان العالم يضعون على قمصانهم تلك الصورة التي نقلها الناشر الايطالي جوينياكومو فلترينيلي إلى أوروبا عام ١٩٦٧ ومنها انتشرت الى انحاء العالم ، كما يرتدون «البيريه» ويطيلون شعرهم كي يقتربوا بمظاهرهم من المثال ، يبتاعون قمصانا تحمل هذه الصورة، ولو سألنا احدهم عن السبب في اختياره لها فقد لا يجيبنا ، وقد تكون جاذبية الصورة هي السبب . بعض المواقع الالكترونية حتى في الولايات المتحدة ، تضع تلك الصورة على واجهات الاستخدام ، المثقفون يعلقونها في بيوتهم ومكاتبهم ، الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز يرتدي قمصانا تحمل صورة جيفارا، فيما يقدم الزعيم البوليفي مورالیس لزواره نسخا عنها مصنوعة من أوراق نبات الكوكا. وقبل أشهر بثت فضائية الجزيرة صورا مثيرة لخبر عن قمع رجال الأمن في احدى البلدان العربية لتظاهرة طالب المشاركون فيها – من ابناء الارياف – بإصلاحات زراعية ، وكان عدد من رجال الأمن يرتدون بزات مدنية تحمل صورة جيفارا! كان الأمر مضحكا ومدعاة للسخرية المريرة ، إذ من المؤكد انهم يجهلون ما ترمز اليه تلك الصورة من معان تتناقض تماما مع ما يقومون به من أعمال قمع لمواطنيهم . في الغرب ، وحسب تقرير صدر عن ال «بي بي سي» ، فإن صورة جيفارا(جمعت الكثير من المعاني الرأسمالية والتجارية والدينية والثورية، ولا توجد أي صورة أخرى تأخذنا إلى كل هذه المناطق، كما ظهرت هذه الصورة كديكور لمنتجات مثل المناديل الورقية والملابس الداخلية وفي أستراليا ظهر آيس كريم جيفارا بطعم الكرز والجوافة).

ثمة سر في صورة جيفارا بالنسبة للكثيرين ، مع أن السر الأعظم يكمن في تجربته الثورية التي امتدت آثارها إلى كثير من حركات التحرر العالمية ،أما المثقفون والسياسيون، فيجدون في صورة جيفارا إيحاءات توقظ في نفوسهم تداعيات زمن الحلم والنقاء الذي قد لا يعود.

عابرة في حياة المغاوير، لكن هذا الجندي يصبح في مرمى قناص العدو. حين توجب على القائد أعطاء الأمر بالانسحاب لم يتردد تاركا الجندي لقدره، يسقط الجندي فيما نسمع صوت جيفارا يحدثنا عن المقارنة بين المغاوير والمرتزقة وكيف أن كلا الفريقين، في لحظة معينة، لابد من أن يتصرفا بالطريقة نفسها، التضحية بحياة الفرد من أجل الجماعة مهما كان الاختلاف بينهما في الأسلحة والأهداف، الفرق عند المغاوير هو الحب... حب القضية.

تتعايش في حياة جيفارا مسيرتان. مسيرة خيطية منذ لقائه بفيدل كاسترو حتى موته في بوليفيا، ومسيرة دائرية تأخذنا عبر دروس وتجربة الثوري المحترف، الثوري الذي يتوغل في الغاب حيث النظرية والتطبيق متشابكان كتشابك خضرة الأوراق في فيلم (الأرجنتيني)، والثوري الذي يضيع في غابات بوليفيا التي لم تعد تمنح المأوى سواء لجسده أو لتأملاته في فيلم (المغوار). يتسجل جيفارا هنا بغنائية تراجيدية في صراع تناقض داخل كل مشهد، لا بل داخل كل صورة، وهو يقرأ كتابا أو وهو يحتل مدينة. كل لقطة مقصودة وتعني هذا التحول من الأنتصار الى السقوط. يرفض جيفارا عندما كان في كوبا تطوع فتاتين لأنهما لم تتجاوزا من العمر ١٦ عاما ثم يقرر الأحتفاظ بهما لأنهما تعرفان القراءة والكتابة وفي بوليفيا يقبل بفتاتين بالعمر نفسه من دون شرط القراءة والكتابة قائلا إن الانسان في هذا العمر يعرف مايريد، وفي حين تبرهن أول فتاتين على البسالة والأخلاص في القتال تخونه الأخريان.

ليست قضية الفيلم هي اختزال معرفة جيفارا الثورية أو اخضاعها للنقاش بل على العكس هي المحافظة على هذه المعرفة بتجريدها من الهدف النهائي، عن التنظيم البسيط للأحداث كما في فيلم يسير كسلسلة وقائع. أن المكسب هو أن لايتم أستخلاص درس محدد من هذه الوقائع. لقد توحدت تحت ظل جيفارا في كوبا مختلف الأحزاب القريبة من القضية فيما أمتنع الحزب الشيوعي في بوليفيا عن مساعدته، كان الفلاحون الكوبيون ذوي عقلية ثورية لكن الفلاحين البوليفيين نأوا بأنفسهم عن الثوار. في أول لقاء بين كاسترو وجيفارا في المكسيك على شرفة في منزل ماريا أنتونيا بعد العشاء أوضح كاسترو لجيفارا بأن النجاح غير مضمون ويمكن أن تربح القضية أو تخسرها كالمقامرة، أختار جيفارا أن يتبع كاسترو في كوبا فربح المعركة، وأختار أن يصدر الثورة الى القارة فخسر في بوليفيا. قال له كاسترو آنذاك ((أنت هو الجنون!)) وحقا كان لقاؤهما على فكرة مشتركة بينهما هي أن الثورة تتطلب مقدارا من الحب مع مقدار من الجنون، ولكن النجاح يعتمد على أن يسيرا معا حتى النهاية. لقد كان جيفارا يمثل ذلك المقدار من الجنون الذي أنفصل عن قرينه وسار وحيدا. لكن (المغوار) ليس حكاية عن الفشل بل هو حكاية مشهد الانتصار مصورا من الجهة المقابلة، منظورا إليه من نقطة أخرى أو من نقطة التعليق عليه حيث تصبح الثورة ايمانا مأساويا.

أن موت جيفارا هو شرف خالص لأنه بأنتقاله الى بوليفيا تخلى عن كل شيء ... المنصب الرفيع، والهوية الشخصية، والمواطنة الكوبية... وأسمه. تخلى عن الجانب المادي من وجوده . يصور سوديربيرغ في النهاية مصير جيفارا بكاميرا (ذاتية)، يصور موت الثوري وهو يعود فردا.

ابراهيم درويش

في قصة الثائر العالمي الارجنتيني المولد تشي جيفارا (١٩٢٨ -١٩٦٧)، كل ملامح البطل الذي حمل منذ ولادته حلما ورؤية لتغيير عالمه، اولا قارته اللاتينية وثانيا تطبيق نظريته في التغيير عبر اعلان حرب شعبية "طلائعية" تطيح بالانظمة الشمولية وتقاوم الامبريالية. وقصة تشي جيفارا كتبت منذ اغتياله في اكتر من مظهر وملمح، كما ان حياته كثائر دولي صارت حلم الشباب في العالم، صوره مرسومة على قمصانهم، طاقيته المعروفة، ضفيرة شعره، وملصقاته لا تخلو غرفة طالب جامعي منها، ويطل وجهه على الكوبيين يوميا كلما صرفوا عملاتهم ليتذكروا ان هذا البطل ضحى وهو شاب من اجلهم وشارك في حرب التحرير وبناء الدولة الجديدة بعد الاطاحة بديكتاتورية باتيستا، فالحكومة الكوبية خلدته بوضع صورته على قطعة نقدية من عملاتها.

لوشيا الفاريز دي توليدو تحكي "قصة تشي جيفارا":

استعادة للبطل في سياقه الارجنتيني وبحث في جذور الثورة والانسان الجديد

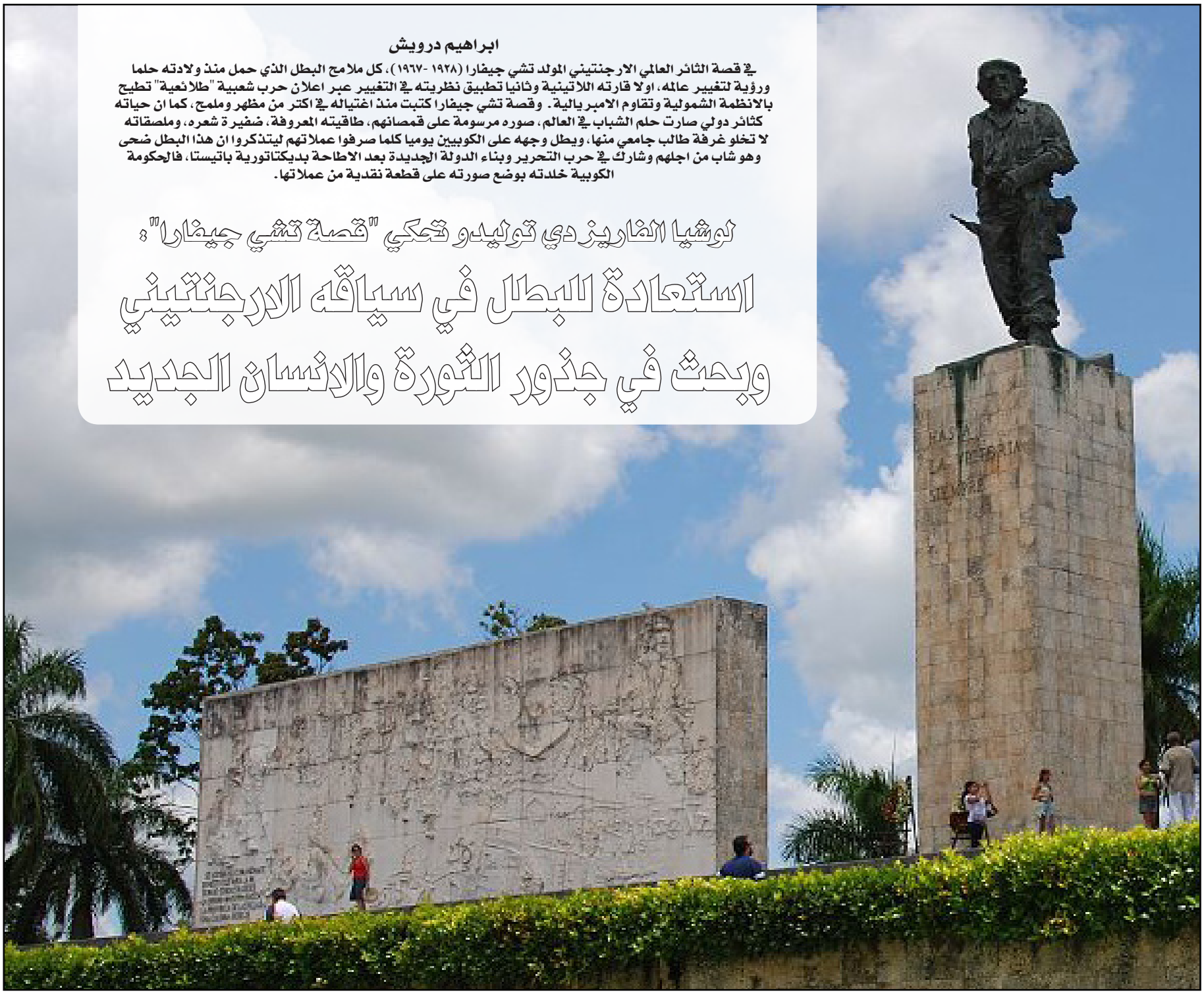

تشي جيفارا، اسم ، ماركة، صورة وجه وتاريخ وحياة وكتاب وثورة هو الرجل الذي ظل يتجول في العالم حالما بالتغيير، بالانسان الجديد، ببناء مجتمع مثالي يسود فيه العدل والحرية، هذا الطبيب ابن الطبقة المتوسطة الارجنتنية (لم يكن ارستقراطيا) اتخذ قراره ان يكون دائما مع المحرومين، بدأ منذ شبابه رحلات على الدراجة الهوائية (قطع مرة ٤٧٠٠ كم في رحلة واحدة) في بلاده ومن ثم على الدراجة النارية مع اصدقائه حول القارة اللاتينية، حاملا معه احلام الوحدة واعادة تشكيل حلم سيمون بوليفار، الثائر الذي اطلق عليه اسم "بوليفيا" واستطاع بناء فدرالية من الدول اللاتينية التي حررها من الاستعمار الاسباني، ومع بوليفار تغنى باشعار الكوبي خوسيه مارتي.

انسان القرن العشرين الكامل

قصة تشي جيفارا خلافا لغيره من ثوار القرن العشرين، تغري الكثيرين للدخول في عالمه، بدايته ونهايته. فهو حسب جون بول سارتر "انسان القرن العشرين الكامل" لكن البطل الذي تغيرت حياته فجأة وفي مدار سبعة اعوام اي منذ قراره الانضمام في المكسيك لكاسترو ومجموعته في ١٩٥٣ ومن ثم وبعد انتصار الثورة في عام ١٩٥٩ تحول وجها من وجوه الثورة المهمة، قائدا، مثقفا يبني حلمها ووجهها في العالم، متحدثا نيابة عنها في الامم المتحدة وممثلا لها امام رابطة الشعوب اللاتينية، ومبعوثا لها في دول افريقيا وآسيا من اجل بناء علاقات وتوقيع اتفاقيات تكسر الحصار الامريكي عن الجزيرة التي ضحى من اجلها واصبح مواطنا من مواطنيها. هذا التحول الهام في حياة الثائر الذي لم يتوان في تجواله في قارته عن العمل في مهن قاسية وهو المتخرج كطبيب يشير الى ان تشي في كل حياته ظل مسكونا بهاجس الانجاز والحركة المستمرة، وان الجلوس لا يحرك الاشياء بل لا بد من الخروج وتعليم الجماهير والتفاعل معها. تشي لم يكن ينام الا قليلا وكان يقرأ كثيرا، ويجد ملجأه في الحمام بعيدا عن صراخ الاطفال وعيون الحرس، وكان يفكر دائما ويكتب دائما، يخطط ويبني، عندما كانت حالته المرضية تضطره للبقاء في البيت كان يعلم الخادمات القراءة والكتابة، حيث كان يختار قصة روبن هود التي يقرأها بصوت عال لهن، وفي بوليفيا اثناء حملته الاخيرة قبل اغتياله كان ابناء الفلاحين يخوفون ابناءهم من تشي جيفارا عندما كان الاطفال يتركون دروسهم، وفي اثناء رحلة الثورة الكوبية من

> الموت كان لازمة مهمة في احاديثه قبل نهايته، ويبدو ان الثائر كان يحس بقرب اجله ونهاية طريقه، وتظهر حواراته مع الرئيس عبدالناصر والتي نقلها عنه محمد حسنين هيكل، الذي كان حاضرا اللقاءات عدم ارتياح او قلق من ناصر من تكرار لازمة الموت في احاديث إيفارا حيث قال الاخير انه يحلم بالعثور على مكان ما للكفاح من اجل الثورة العالمية ، مما دعا ناصر للتعليق قائلا "لماذا تكثر الحديث عن الموت؟ ما زلت شابا، اذا كان من الضروري يجب ان نموت من اجل الثورة ولكن من الاجمل الحياة من اجلها"، كان هذا عندما كان يحضر جيفارا لحملته الافريقية الفاشلة في الكونغو والتي تعلم من دروسها الكثير.

جبال سييرا مايسترا والزحف نحو العاصمة علم الفلاحين والفلاحات وصنع منهم- منهن كوادر مخلصة للثورة. نعرف الكثير عن حياة جيفارا، من مذكراته وكتبه عن الثورة ورحلاته في القارة اللاتينية وتقييمه لحملته الفاشلة في الكونغو، ومن خلال ما كتبه معاصروه عنه، رفاقه واصدقاؤه في المدرسة والجامعة وفي طريق الثورة وما كتبته النساء اللاتي رافقنه في الكفاح، كما تزودنا كتب المعارضين له بالكثير من الصور عنه، وفوق كل هذا فإيفارا كان وجه الثورة الكوبية المعروف لدرجة ان الكثيرين يلمحون الى دور لرفيقه فيدل كاسترو في نهايته عندما ابعده عن كوبا كما يقول المغرضون ورمى به في ادغال بوليفيا حيث لاقى نهايته على يد عملاء الـ"سي آي ايه" الذين يرصدون تحركاته منذ ان بدأ نشاطه السياسي واظهر ميلا للثورة، وهو التحول الذي جاء بعد الانقلاب في غواتيمالا والحرب الاهلية (١٩٥٤) التي اندلعت هناك وقتلت اليسار. سيعتبر تشي جيفارا ما حدث في غواتيمالا نقطة تحول في تفكيره ونظرته للتغيير فانصار الرئيس في حينه وحكومته كان من الممكن انقاذهما من العسكر المدعومين من امريكا لو تم تسليح الشعب ولتم تجنب المجازر التي حدثت نتيجة استقالة الرئيس في حينه.

قصته وكفاحه كتاب مفتوح

من الكم الهائل من الكتب والمذكرات والافلام والصور التي نملكها عن جيفارا، لازالت قصته تمنحنا الكثير، فبعيدا عن موته وشهادته من اجل مبادئه، لا تزال قصته تمنحنا الكثير، لانه كان يعرف ان القدر ساقه لتحقيق هدف في الحياة. ومن هنا ظل يكتب ويفكر ويرحل من مكان الى مكان، فالرحلة في حياة جيفارا لم تكن للاستمتاع والتفرج فقط بل كانت من اجل المعرفة واكتشاف جذور القارة التي ولد فيها، والتعايش مع المحرومين من ابنائها الاصليين، الهنود الحمر، ولهذا ظل جيفارا طوال رحلاته منهمكا بالقراءة والحوار والجدل والتصوير، حيث كان يهوى التقاط الصور للمعالم التاريخية للقارة اللاتينية. متاع الثائر بالنسبة لجيفارا كان قلبه والتزامه بمبادئه وتصميمه على الحركة واستمرار الحلم بالتغيير. في قصه جيفارا اصرار على الحياة من اجل الآخرين، عدم الالتفات للماديات، مات كغيره من القادة الذين غيروا التاريخ، بدون متاع، متاعه عند غيره، وهنا نفهم طهورية الثائر الذي تجاوز الخطوط الفاصلة بين الطبقة والدين والاصل والعرق، وكان نفسه شاهدا ونموذجا. عندما وصل الثوار مثلا الى كوبا، اعطى الجنود الكوبيين السود من فرقته غرفا قريبة منه وهو امر لم يكن معروفا في كوبا على الرغم من نهاية العبودية، هناك، وفي رحلاته في امريكا اللاتينية لم يتوان عن السفر في عربات القطارات المخصصة للامريكيين الاصليين (الذين كانوا يحشرون مع الحيوانات).

بطل الجميع

في حياة جيفارا رمزية الثائر الذي وقف ضد الجميع واحبه الجميع، ففي رحلته الطويلة وتشرده الباحث عن حلم، كان يجد احيانا العون من الطبقة " البرجوازية" التي طلقها وكانت تخرجه من ورطات السياسة في امريكا اللاتينية، وفي موته الطقسي لم يكن جيفارا بطلا للفقراء والمحرومين بل بطلا للجميع، فهو وقف ودافع عن القارة الامريكية الجنوبية، ولا يزال سكان القرية البوليفية التي اخذ فيها جيفارا وجماعته من الثائرين يتحدثون بندم عن الطريقة التي عاملوا فيها الثائر ويقولون انه جاء اليهم بدون ان يكونوا جاهزين له فالقائد جاء اليهم ولم يفهموه وهجروه ومات بسببهم. والموت كان لازمة مهمة في احاديثه قبل نهايته، ويبدو ان الثائر كان يحس بقرب اجله ونهاية طريقه، وتظهر حواراته مع الرئيس عبدالناصر والتي نقلها عنه محمد حسنين هيكل، الذي كان حاضرا اللقاءات عدم ارتياح او قلق من ناصر من تكرار لازمة الموت في احاديث إيفارا حيث قال الاخير انه يحلم بالعثور على مكان ما للكفاح من اجل الثورة العالمية ، مما دعا ناصر للتعليق قائلا " لماذا تكثر الحديث عن الموت؟ ما زلت شابا، اذا كان من الضروري يجب ان نموت من اجل الثورة ولكن من الاجمل الحياة من اجلها"، كان هذا عندما كان يحضر جيفارا لحملته الافريقية الفاشلة في الكونغو والتي تعلم من دروسها الكثير.

حياة مع جيفارا

هناك الكثير من الرموز والرمزيات في حياة جيفارا، الثائر والسياسي والاب والقائد والمثقف و"الشاعر" والمصور، والايقونة وكاتب اليوميات ومنظر الثورة، وكل ملمح منها يقدم لنا صورة عن عصره وزمنه. ولانه كذلك فلا بد من دراسة تضع حياته في سياق وطنه، تاريخه الذي ولد وتشكلت فيه رؤاه، ولهذا ترى لوشيا الفاريز دي توليدو، الاعلامية المجربة وابنة بيونس ايرس ان الكتابات التي كتبت عنه اغفلت البعد الارجنتيني في حياته، اي لم تعط الاجواء التي عاش فيها قدرها من البحث، ولم تجذر رؤيته السياسية في حلمه الدائم بالعودة مرة الى الارجنتين ويقود فيها الثورة، وقد تعهد له فيدل كاسترو عندما انضم الى الثورة الكوبية انه عندما تهدأ الاحوال فسيساعده على قيادة الثورة في بلده الارجنتين. ميزة الكتاب الجديد انه يلاحق رحلة الثائر ويحاول فهمها في سياقها التاريخي، وهو جهد ١٥ عاما من الكاتبة حاولت قراءة معظم "او كل" ما كتب عنه بعد وفاته في اربع لغات، وكما تقول انها كمواطنة من مدينة بيونس ايرس مسلحة بفهم رحلته واصوله وهو البعد الذي ادى ببعض من كتبوا عنه وكلهم اجانب لسوء فهم لطبيعة اللغة التي استخدمها جيفارا المتجذرة في تاريخ نشوء الارجنتين وتطور اللغة والاعراق فيها، وعلاقة الكفاح من اجل الاستقلال بدول الجوار، وطبيعة قوى المصالح التي حكمت الطريقة التي شكلت السياسة والثقافة في الارجنتين. وتقول لوشيا ان كونها امرأة يعطي سيرتها بعدا آخر لمحاولتها استعادة "جيفارا" ووضعه في سياقه اللاتيني.

نقض الترهات

فعندما نضع جيفارا في سياقه الطبيعي نتمكن من ازاحة الكثير من الاساطير وتقويضها والتي ارتبطت به وبحياته من انه كان ابن طبقة ارستقراطية طلقها من اجل الثورة، وانه اختلف مع كاسترو الذي سلمه للسي آي ايه، وانه كان رجلا قاسيا قتل الاطفال والنساء واعدم العصاة في قلعة لاكابانا في هافانا، وانه قتل اعداء الثورة، اضافة لكونه رجلا مهووسا بالنساء او كما نقول "زير نساء". وكذا تصحيح فهم عن جيفارا انه كان محدود القدرات القتالية والخبرة في مجال حرب العصابات وهو ما يشهد عليه فشل حملتيه في افريقيا وامريكا اللاتينية. ومع هذه الاهتمامات التي يحاولها كتاب لوشيا التي تصغر جيفارا بعشرة اعوام (مولودة في عام ١٩٣٨) هناك محاولة لاظهار ان ثائرنا كان رجل اجماع "من اليمين واليسار". وتأمل من خلال هذه القراءة التاريخية "المحقبة" فهم تراث جيفارا في سياقه العالمي او اللاتيني، مشيرة الى ان تراثه ظل محط جدل ونقاش من ناحية فهم تجربته وتحديدها في سياقها الكوبي ام سياق القارة التي تحررت الآن من اعباء الامبريالية الامريكية وتبرز دولها كقوة اقتصادية وسياسية مهمة، ويبدو ان حلم بوليفار، الجنرال في متاهته، وجيفارا الشهيد يتحقق الآن. المهم في كتاب لوشيا انه يحاول جمع كل الروايات المتناقضة بشان حياة جيفارا، كما انها حاولت تتبع خطاه التي سارها منذ ان بدأ الترحال والتشرد وقابلت الكثيرين ممن عاصروه وسجلت رواياتهم. وتحاول السيرة الجديدة ان تلمح الى تماهي حياة الكاتبة بحياة الثائر من ناحية ربطها بين حوادث شخصية حصلت لها وذكرتها باهمية ابن بلدها واثره على تراث القرن العشرين، فهي تشير الى حادثة لها اثناء وجودها في هافانا عندما وقف سائق سيارة اجرة وحملها معه الى فندقها عندما علم انها من بلد جيفارا وحوادث اخرى.

رحلة حياة

واختارت الكاتبة تقسيم كتابها وفصوله بناء على حقب زمنية تبدأ من مرحلة ولادته في مدينة روزاريو في منطقة سانتا في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٨ وتقول ان ولادته في تلك المدينة لم تكن مخططا لها، ولا توجد روابط للعائلة بالمدينة ذلك ان الاب ارنستو جيفارا لينتش والام سيليا دي لا سرينا كانا في طريقهما من مزرعة شاي "ماتي" الى بوينس ايرس عندما جاءت آلام المخاض. واصول العائلة الاسبانية تعود الى اقليم الباسك، وتذكر الكاتبة لاحقا انه عندما اصبح جيفارا وجها مهما في الثورة الكوبية كتبت له سيدة تعيش في المغرب تحمل نفس الاسم وتسأل ان كانت تربطهما علاقة قرابة؟

تنقل دائم

تكشف قصة جيفارا عن تنقل العائلة الدائم، بسبب الظروف المالية او لان الابن ارنستو الذي كان يعاني من مرض الربو والذي رافق حياته كلها وظلت نوباته تلاحقه حتى عندما كان يحضر للقاء الزعيم ماو تسي تونغ. تعطي قراءة كتاب لوشيا سردا تاريخيا بشان اصول الارجنتين وسكانها البيض الذين تقول ان الدراسات الحديثة انهم لا يعدون عرقيا بيض البشرة، بل خليط من الاعراق والالوان، كما تشير الى نزعة والد ووالدة جيفارا التي قالت انهما كانا يمثلان زوجا غريبا في المجتمع ليس من ناحية النشاط السياسي ولكن من ناحية التصرف، قلق وفوضى في الحياة، وخروج على المألوف وهو ما ورثه الابن عنهما. تخبرنا الكاتبة انه عندما كانت العائلة تقيم في بلدة التا غارسيا التي رحلت اليها بسبب جوها المناسب لمرض ابنها، كان جيفارا دائم التغيب عن البيت ودائم الاختلاط مع ابناء البلدة من الفقراء وغير البيض، حيث كان يزور بيوتهم ويرى كيف ينامون في غرفة واحدة وكيف كانوا يعملون الوسائد والفرش من ورق الجرائد. وكان جيفارا يتبرع بلباسه المدرسي لابناء هذه العائلات المحرومة. وستعلم تجربته في البلدة ومشاهداته في رحلاته في جنوب امريكا انه كان يتمتع بقدرة على الصبر على الجوع والبرد والفقر، ففي رحلته الاولى على الدراجة والتي قادته الى فنزويلا ومنها الى الارجنتين عبر ميامي، وصل هناك وفي جيبه دولار واحد، وعاش في الايام الاولى على فنجان قهوة بالحليب في اليوم وسكن في منزل بعيد عن المكتبة العامة التي ظل يداوم عليها حتى وجد حلا للعودة، ولم تكن مشاهداته في امريكا مشجعة له فقد وصفها مستشهدا بشعر لخوسيه مارتي الذي قال انه "شاهد بطن الوحش"، ولاحظ جيفارا عدوانية الامريكيين عندما كان يناقش معهم الحرب الكورية. وعندما كان موجودا هناك كانت الحملة المكارثية وصيد الحمر في ذروتها.

> تمنح سيرة جيفارا الجديدة القارئ فرصة للتعرف اكثر على معالم حياة شاب ذكي مثقف، ووسيم كان يمكن ان يكون اي شيء، مصورا، كاتبا، مؤرخا، رحالة، طبيبا، باحثا علميا في مجال امراض الحساسية والجذام، سياسيا لكنه اختار ان يكون جنديا ثائرا لان الجندية هي المكان المناسب له كما اعتقد. تكشف السيرة عن حضور او جاذبية تشي وهو الاسم اللقب الذي اعطي له وهو في المكسيك واحبه، ففي حفلة اقيمت على شرفه في كوناكري صاحت زوجة السفير الايطالي لاحدى المدعوات "يا الهي انه جميل"، كما تكشف كيف حاولت الدعاية الامريكية- هوليوود و"التايم" وغيرها استغلال قصة الرجل الذي صنع اسطورته وفبركت كل القصص حوله.

الو هذا هو الدكتور جيفاراد

دي لا سيرنا

تطلعنا السيرة على علاقة الابن مع والدته سيليا الناشطة والمثقفة والتي ستموت وجيفارا في ادغال افريقيا. وكيف انها ظلت تشجعه من اجل اكمال دراسته الطبية حيث تخرج في ١١ نيسان (ابريل) ١٩٥٣ وكان اول شيء يعمله هو الاتصال بأمه من تلفون عام حيث قال لأمه "هذا هو الدكتور (تشديد على اللقب) جيفارا دي لا سيرنا" . بعد تخرجه مباشرة انطلق مرة ثانية في رحلة لزيارة بلدان المنطقة، وفي هذه الرحلة سيشاهد الكثير من مظاهر التمييز والاستغلال والاهانة التي يتعرض لها الهنود من السلطات، كيف يتم رشهم بمادة الدي دي تي من اجل تطهيرهم من القمل قبل مقابلة مسؤول وكيف كان يبيعهم قس امكنة في الجنة مقابل مبالغ يدفعونها الى الكنيسة وان المكان علوه وهبوطه يتم تحديده بناء على المبلغ المدفوع. ما يهم في الرحلة التي قادته الى المكسيك التجربة الغواتيمالية والتدخل الامريكي الذي انهى حكم جاكوب اربانيز عام ١٩٥٤. تلك التجربة التي عاش فيها وشاهد جيفارا النار والدمار والقنابل علمته كما كتب لأمه حب القنابل واجواء المعارك. وعليه عندما انخرط في النشاط السياسي مع المنفيين الكوبيين في المكسيك وسجن بعد اكتشاف خلية كاسترو الاولى كتب لأمه وهو في السجن انه ليس رجل خير او المسيح بل على العكس من السيد المسيح لانه، اي جيفارا، يؤمن بالقتال حتى الموت وبسحق عدوه باستخدام كل الوسائل المتاحة امامه من دون ان يعطي فرصة للعدو كي يسمره على الصليب. وسيؤمن جيفارا بحتمية التغيير عبر العنف الثوري حتى النهاية. سيؤكد جيفارا لاحقا ان الثورة يجب ان لا تتوقف عند حد التصفية بل يجب ان تترك آثارها العميقة على المجتمع كما قال اثناء التحضير للدخول الى كوبا حيث دخل مع كاسترو ورفاقه على متن سفينة "غرانما" والتي وصف رسوها على الشواطئ الكوبية بانها لم تكن في الحقيقة رسوا بل تحطما، في اشارة الى المصاعب التي قابلتهم في الطريق. وضمن اطروحة شخصية الاجماع التي تتبناها تقول انه بعد وصول الانباء عن دخول الثوار الى كوبا واعلان حكومة باتيستا عن تصفيتهم قلقت العائلة على مصير جيفارا ومن هنا كان اليمين المحافظ او المعارضون للثورة هم من بحثوا عنه، وتأكدوا من عدم وفاته، في اشارة للحكومة الديكتاتورية في بيونس ايرس.

خيبات مع نهرو واعجاب

بناصر وصداقة لابن بيلا

ما يهم في السيرة انها تشير الى الجذور والمؤثرات الثقافية على جيفارا، فقد قرأ في صغره اشعار رينيه ماريا ريلكه، وكتابات فرويد وفولكنر وستيفنسون وحفظ اشعار بابلو نيرودا وخوسيه مارتي ولاحقا اطلع وحفظ واعجب باشعار ناظم حكمت الذي زار كوبا لكن لا توجد ادلة عن لقائهما. طبعا عندما يصبح جيفارا على قمة العالم، سيجد الفرصة للقاء الكتاب والشعراء الذين احبهم وسيعطونه نسخا موقعة من كتبهم، وسيجد جيفارا في عالم السياسة خيبات في المثال فمثلا عندما زار الهند التي اعجب بمثال غاندي فيها والتقى بنهرو الذي تأثر بكتابه "اكتشاف الهند" لم يكن نهرو مهتما بالنقاش او الحديث او فتح احاديث مع الثوار الجدد من كوبا بقدر ما اهتم بالرسميات، ومع ان امله خاب بنهرو الا ان الهند نفسها لم تخيب امله فقد زار تاج محل، واغر وكالكوتا. ولم يخب امله جمال عبدالناصر الذي اسكنه ووفده في قصر صيفي يعود للملك المخلوع فاروق، وزار الاسكندرية ودمشق حيث كانت الجمهورية العربية المتحدة ما زالت موجودة وغزة وبور سعيد وقناة السويس. وتقول الكاتبة ان جمال عبدالناصر لم يكن يتوقع استمرار الثورة الكوبية وانها ستنهار بسبب امريكا والمخابرات المركزية، كما انه تعامل مع خطاب كاسترو على انه خطاب مسرحي لا جوهر فيه لكن زيارة جيفارا غيرت موقفه من الثورة. ولم تخب ثورة الجزائر امل جيفارا، حيث اقام صداقة مع احمد بن بيلا، ويذكر ان الاسلحة التي اخذتها القوات الكوبية من مرتزقة خليج الخنازير تم التبرع بها للجزائر.

يا الهي انه جميل

تمنح سيرة جيفارا الجديدة القارئ فرصة للتعرف اكثر على معالم حياة شاب ذكي مثقف، ووسيم كان يمكن ان يكون اي شيء، مصورا، كاتبا، مؤرخا، رحالة، طبيبا، باحثا علميا في مجال امراض الحساسية والجذام، سياسيا لكنه اختار ان يكون جنديا ثائرا لان الجندية هي المكان المناسب له كما اعتقد. تكشف السيرة عن حضور او جاذبية تشي وهو الاسم اللقب الذي اعطي له وهو في المكسيك واحبه، ففي حفلة اقيمت على شرفه في كوناكري صاحت زوجة السفير الايطالي لاحدى المدعوات "يا الهي انه جميل"، كما تكشف كيف حاولت الدعاية الامريكية- هوليوود و"التايم" وغيرها استغلال قصة الرجل الذي صنع اسطورته وفبركت كل القصص حوله. في تفاصيل حياة وكفاح جيفارا معالم شبه من شخصية ارجنتينية اخرى مثيرة هي ايفا بيرون حيث ترسم الكاتبة هنا معالم الشبه لكن قصة حياة جيفارا تظل اكثر التصاقا ببوليفار ومارتي. رجل الاسماء والهويات المتعددة آمن طوال حياته بالخير في الانسان. ولكن استعادة بلاده له انتظرت اربعة عقود حتى انتهت الديكتاتورية هناك وحيث ظهرت صورته على طوابع الارجنتين البريدية واقيم له تمثال ضخم طوله اربعة امتار، مما ادخله في مجمع الخالدين، يذكر انه في عام ١٩٨٣ تسابقت دول امريكا اللاتينية على احياء المئوية الثانية لميلاد بوليفار وتخليد الذكرى بطوابع بريدية. كتاب لوشيا جميل، مؤثر مليء بالتفاصيل والتاريخ يضع البطل في سياقه المحلي والعالمي، وكل بطل كما تظهر السيرة لا يخلو من العثرات والاخطاء.

عن / النهار اللبنانية

سنواتي مع تشي جيفارا سياحة في عمق ثورة هزت الانسانية

بدل رفو المزوري

(ليوناردوا تمايو نونيز) بطل ثائر، من أبطال الثورة الكوبية، ولد عام ١٩٤١ في بايموت وأنضم الى الثوار وعمره لم يتجاوز الخامسة عشرة تقريباً، وكان واحداً من المقربين الى قائد الثورة جيفارا، رافق تشي الى بوليفيا عام ١٩٦٦، حيث حاول خلق نموذج دائم للثورة، ولقد نجح بعد موت جيفارا في بوليفيا أن يعود حيا الى كوبا مع ثلاثة من رفاقه، وكان خبيراً استشارياً في انغولا ونيكاراغوا.

(ليوناردو تمايو وسنواتي مع تشي جيفارا) كان عنوان الأمسية التي أقيمت له ضمن أسبوع أفلام أمريكا اللاتينية بمناسبة الذكرى الواحد والثمانين لميلاد الثائر الكوبي تشي جيفارا، في المركز الثقافي للحزب الشيوعي النمساوي في مدينة غراتس. امتلأت القاعة بالزوار وعشاق تشي جيفارا والحرية، وحين دخل الثائر ليوناردو القاعة وقف الجمهور تحية واحتراماً لهذا المناضل وصفق له طويلاً، سجل ليوناردو حافل بالنضال في امريكا اللاتينية، بالأضافة الى مشاركته الى جانب تشي جيفارا في بوليفا حارب في انغولا في افريقيا من عام ١٩٧٥ ولغاية ١٩٧٨ حيث قاد العمليات ضمن صفوف الثورة، ويعمل الآن جنرالا في وزارة الداخلية الكوبية.
قام بالترجمة من الاسبانية المترجم المبدع د. فيرنار فاسيلي، وبدأ الضيف بسرد ذكرياته مع تشي جيفارا الذي تعرف عليه عام ١٩٥٧، وظل بجانبه أكثر من ١٠ سنوات، وقال بأنه كان له الشرف والفخر بأن يرافق تشي جيفارا في مهماته الخاصة، وكان يردد عبارة تشي جيفارا حين كان يقول (بانه مواطن كل العوالم وأنا ابن العالم وليس فقط الارجنتين وكوبا).

لقد كان تشي جيفارا الباحث الطبيب والانسان يحمل مسؤوليات كثيرة، فلم يكن فقط وزير صناعة، بل كان هناك على عاتقه الكثير حيث كان يقضي أكثر من ١٧ ساعة في خدمة وطنه، فقد قالها فيديل كاسترو (بأنه لو انصفنا وزيراً ما فعلينا ان لا ننسى تشي جيفارا أبدا). لقد قال تشي جيفارا لكاسترو ان عليه ان يهتم بوضع كوبا الداخلي، وأما أنا فواجبي التوجه الى دول أمريكا اللاتينية لأنشر الحرية والعدالة الاجتماعية هناك، ولهذا قرر بأن يتجه صوب بوليفيا، واردف قائلا بأن تشي جيفارا كان يعلم بأنه يكبر

عمرا وأن ليس بوسعه قيادة الثورة لو بلغ ٣٩ عاما.
لقد نشر تشي الف باء الثورة في بوليفيا، وبعدها تحدث ليوناردو عن وضع كوبا ومكانتها حاليا بين دول امريكا اللاتينية، وقال بأن لكوبا علاقات دبلوماسية وسياسية واقتصادية مع هذه الدول، وشعب كوبا شعب مكافح ومقاتل من أجل حريته وأنه يتضامن مع كل الحركات التحررية وضد السيطرة على الشعوب والاضطهاد.
بعدها فتح باب النقاش وبروح رقيقة وصدر رحب أجاب على أسئة الحضور، وحينها سأله كاتب هذه السطور (بدل رفو) قائلاً: بأننا كنا ننتظر ان تحدثنا أكثر عن ذكرياتك وطبيعة تشي جيفارا وتعامله مع الأسرى والرفاق، وكذلك طرح عليه هذا السؤال: من يعش ثورة فعليه ان يقف الى جانب ثورات العالم، فمثلا لم نسمع يوما بأن كاسترو أو كوبا نطقت أسم كردستان يوماً أو الثورات الأخرى فما هو السبب؟؟
بعدها أجاب ليوناردو على اسئلة (بدل رفو) قائلاً: صحيح أني لم أتحدث عن تشي جيفارا كثيرا، وبعدها بدأ بسرد بعض ذكرياته معه وطريقة تعامل تشي مع الأسرى حيث كان يعطي دواءه المخصص للربو لأسرى العدو، ولكن حين وقع في الأسر لم يرحموا تشي جيفارا، بل وجدوه مقيد الأيدي والأرجل.

عن / غراتس النمساوية

تشي جيفارا: السلوك الأخلاقي في الكفاح السياسي

١٩٦٧-١٩٩٧: كان عمره سيبلغ ٦٩ سنة، في ظل نظام عالمي لم يكن أبدا يتصوره، في قارة عاثت فيها الليبرالية الجديدة فسادا، وفي جزيرة خاضعة لمتطلبات تغلغل الدولار. كيف سنتفحص أو نعيد تفحص فكر تشي؟ لقد أضفى عالم الفوضى والبلبلة طابع الغموض على صورته التي تتأجج بين اللا منطق والسخرية. فهو أما أسطورة فارغة، أو طوباوي مستبد وانتحاري. وهو محارب بطل في حرب الغوار لكنه عسكري خاسر بالنسبة للبعض، ومنظم دون المستوى للبعض الآخر. وبالنسبة لآخرين فهو، علاوة على ذلك، متزمت مازوشي ومتعصب، متسلط ومتعسف، والذي كان عناده السياسي وسلوكه اللا مسؤول سيقودان -في غياب عبقرية فيديل كاسترو العملية- إلى إخفاق الثورة الكوبية على غرار الكونغو وبوليفيا. ونحن في نهاية هذا القرن، كيف نستعيد مغزى كفاح خيض في عقد الستينات الثوري؟ وإن كنا نعرف اليوم آخر أيام تشي بشكل أفضل، فإن كتاباته -وهي عديدة- محفوظة في كوبا وتبقى دائما مجهولة. ثم إن مسيرته الايديولوجية مازالت تتطلب الكشف عنها. إن قصر حياة تشي جيفارا السياسية (ثلاث عشر سنة موزعة بين انتصار المخابرات الأمريكية CIA على Arbenz بكواتيمالا وموته في بوليفيا، ثماني سنوات في كوبا ستة منها بعد انتصار الثورة)، والتسارع العنيف لأحداث التاريخ الذي كان يشكل جزءا لا يتجزأ منه، تجعلان من الصعوبة بمكان تفسير بعضا من كتاباته. فقد كان فكره في تطور دائم.

جانيت هابيل

وبالرغم من أنه لم يعتبر نفسه منظرا، ولم ينتم إلى حزب سياسي قبل التزامه في كوبا، فإن الشهادات كلها تتطابق حول دوره، سواء في سييرا مايسترا أو إبان الاستيلاء على السلطة، كمحفز رئيسي للمسار الراديكالي الذي سارت عليه الثورة. لكن وعيه السياسي سيتطور بشكل عميق في بعض السنوات. فلا تكاد تمر ست سنوات بين تناوله لتجربة بلدان "الستار الحديدي" بشكل إيجابي وهو في سييرا مايسترا (وذلك في رسالة إلى رونيه راموس لاتور المسؤول عن حركة ٢٦ يوليو، وهي رسالة سيصفها لاحقا بـ"البليدة") وبين نقده الصارم للإتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية في سنوات ١٩٦٤-١٩٦٥.
في أكتوبر ١٩٦٠، ذهب في زيارة إلى موسكو بعد أن تعرضت الجزيرة للخنق من جراء الحصار الذي نظمته أمريكا على البضائع ابتداء من ١٣ أكتوبر. وقد حصل من الكتلة السوفيتية على قروض، وعلى التزام بشراء جزء كبير من السكر الكوبي مقابل البترول (أما ما تبقى فستشتريه الصين). وخلال الاحتفال بذكرى الثورة الروسية التي حضرها، صفق الجمهور وهتف له. وإن كان متأكدا من أن هجوما أمريكيا قد أوشك (اجتياح "خليج الخنازير" سيحدث بعد مرور أربعة أشهر)، فإنه عاد وهو مقتنع بأن "الإتحاد السوفيتي وكل البلدان الاشتراكية مستعدة للدخول في حرب لحماية سيادتنا"(١). وفي أكتوبر ١٩٦٢ ستنفجر أزمة الصواريخ وتبدد كل أوهامه بشكل جارح. فسيختبر رجل حرب الغوار، بعد أن أصبح وزيرا، التسيير السوفيتي للعمليات التجارية، وكذا دبلوماسية موسكو القوية خلال أزمة الصواريخ. وهكذا سيكتشف مرارة واقع الاشتراكية السلطوية والبيروقراطية، والامتيازات التي يحصل عليها الماسكون بزمام الحكم. وخلال المؤتمرات التداولية لوزارة الصناعة سيشهر بـ"الاشتراكية القائمة فعلا"، وهو نعت لم يكن موجودا بعد.
إن تفكيره هذا، سيزيد من توطيد نزعته الإنسانية التي اكتسبها خلال رحلته في أمريكا اللاتينية. فهو أرجنتيني يعرف الأساليب الزبونية والشعبوية للبيرونية. ولاحقا سيكتشف الامتيازات التي يحوز عليها "مدراء" ومسؤولو الحزب. إن نموذج"الإنسانية الجديدة" الذي يريد أن ينهض به والذي يتم تشويهه لجعله استبداديا، والسلوك النموذجي الذي يفرضه على نفسه كقائد، والعمل التطوعي الذي يبحث عليه، كلها مزايا تتناقض مع الأساليب الستالينية، وهو يستوحيها من تصور أخلاقي للسلطة والذي يبدو أيضا ضروريا من الناحية السياسية. فعندما أعلن لعمال السكر في ١٩٦١ بأن نقص الحاجيات سيزداد حدة (اللحم والحليب أصبحا منذئذ مقننين)، أخذ على عاتقه تعهدا أثار حماس المشاركين: "في هذه المرحلة الجديد من النضال الثوري، لن ينال واحد منا أكثر من الآخرين، ولن يكون هناك موظفون محظوظون ولا فلاحون كبار. لن يكون محظوظا في كوبا سوى الأطفال".
ففي حين يعاني السكان من الحرمان، كان الاجتياح الأمريكي يتطلب تعبئة شعبية

هائلة، وهو ما كان مستحيلا دون الانخراط في مشروع ثوري. وهذا الانخراط هو الذي يفسر الانتصار الذي أحرز في بلايا جيرون، والذي يعد أول هزيمة تتكبدها الإمبريالية في أمريكا اللاتينية.

كان تشي بعيدا عن رذائل الفساد والمحسوبية التي كانت تميز زعماء أمريكا اللاتينية، فارضا صورته كقائد زاهد، صارم مع نفسه كما مع الآخرين. والنوادر لا تحصى في هذا الباب: كان يلغي الإضافات التي تستفيد منها عائلته بخصوص القوت، وكان المرض هو ما يبرر به جهارا سكنه المؤقت على شاطئ البحر والذي لا يسمح به أجره. لقد أدرك سريعا ضرورة النضال ضد الامتيازات، حيث يعتبر أنه على المشروع الثوري أن يخلق قائدا خاليا من كل رذائل الفساد والارتشاء، قائد تطابق أقواله أفعاله. ومن هنا تزهده الشخصي الذي كان بمثابة أسطورة.

سيخوض تشي نضالا مستمرا ضد تبقرط الإدارة الجديدة وهو يحاول أن يفرض نمطا جديدا من ممارسة السلطة. لن يفلح في ذلك، وسيكثر أعداء هذا "الأرجنتيني" كما ينعته بعد الموظفين مستهترين به.

كان تصلبه يفسر أحيانا بالتحليل النفسي، لكن ذلك كان ينم عن جهل ضرورة تجسيد السلطة الجديدة في كوبا لقطيعة جذرية مع فساد النظام السابق. فالطبع يغلب التطبع، الأمر الذي يشهد عليه ما قام به بعض من رجال حرب الغوار في حركة ٢٦ يوليو، بعد الانتصار الإستراتيجي من استيلاء على السيارات الفخمة لرجال بوليس الديكتاتورية ليلتحقوا بمدينة هافانا، وقد عاقبهم تشي على الفور. وهذه العقوبات الصارمة توصف اليوم بأنها مرتبطة بستالينية خاصة، وهي غولاغ المناطق المدارية. هكذا تم خلط كل شيء: فالانضباط المفروض في حركة حرب الغوار تكافح ضد ديكتاتورية مدعومة من طرف واشنطن، وإعدام جلادي باتيستا في ثكنة كابانا بعد الإستيلاء على السلطة، كلها مقدمات تدل على المنحى القمعي الذي يسير فيه النظام. وفي هذا كله يتم نسيان تشي وهو يعالج السجناء ويطلق سراحهم بعد ذلك، وكذا سخائه الزهيد لكن الشاسع.

مجهود فكري غير مكتمل

إن إعادة قراءة كل من النصوص الأخيرة لتشي خلال النقاش الاقتصادي الكبير الذي أشهر فيه خلافه مع المدافعين عن الإصلاحات الاقتصادية السوفيتية لسنوات الستينات –وهي نسخة أولى للبريسترويكا–، ومقالته حول "الاشتراكية والإنسان في كوبا"، وكذا خطاباته الأخيرة خصوصا ذلك الذي ألقاه في الجزائر في ١٩٦٥، توضح بشكل جلي رؤيته النقدية والمحذرة من مشاكل المجتمع الانتقالي في الإتحاد السوفيتي. فقد كتب في كتاب بدأه قبيل وفاته وبقي غير مكتمل ما يلي: "إن الإنسانية تنتظرها هزات عديدة قبل أن تحصل على تحررها النهائي، لكننا مقتنعون بأنه يتعذر بلوغ هذا التحرر دون تغيير جذري في إستراتيجية القوى الاشتراكية الرئيسية. وسيبين لنا التاريخ ما إذا كان هذا التغيير سيأتي نتيجة ضغط الإمبريالية الحتمي أو عبر تطور جماهير هذه البلدان وأما بتضافر عوامل عديدة. أما من جهتنا، فنحن نساهم بجهد متواضع مع خوفنا من أن يتجاوز المسعى قوانا الذاتية"(٢).

فقد أدرك سريعا ما قد يعترض كوبا من صعوبات بفعل تبعيتها إزاء "الأخ الأكبر" السوفيتي. كما أدرك، منذ الاستيلاء على السلطة، ضرورة إحداث قطيعة مع الطابع الأحادي لزراعة السكر لتقليص تبعية البلد والسعي إلى ضمان تطور اقتصادي مستقل أكثر. وكان التشديد على التصنيع يستجيب لانشغاله الكبير هذا. لكن سرعان ما ظهرت نتائج شريعة السوق العالمية: فانخفاض إنتاج قصب السكر –المنتوج الأساسي في التصدير– لم يعد يسمح بضمان الواردات الضرورية للتطوير الاقتصادي بالنسبة لبلد محروم من موارد الطاقة، والذي ترتكز عائداته أساسا على هذه الزراعة الأحادية التي فرضها الاستعمار في القرن ١٩. فكان لا بد من تصحيح الوضع، وهو ما تعنيه تشي لما قال لادواردو كالينو: "لقد ارتكبنا حماقة لما أردنا تسريع التصنيع. كنا نريد تعويض كل الواردات وتصنيع منتجات كاملة، دون أن نرى تلك المضاعفات الهائلة التي يفرضها استيراد السلع الوسطى"(٣).

فالتجارة مع الإتحاد السوفيتي، خصوصا التزويد بالبترول بعد القطيعة التامة مع الولايات المتحدة، قد تضمن استقرار المبادلات وعدالة تجارية حقيقية بين بلد صغير تابع اقتصاديا وبلد يدعي الاشتراكية ويملك السلاح النووي وهو الآن ينطلق إلى غزو الفضاء.

لم يحتج تشي لكثير من الوقت –عكس القادة الكوبيين الآخرين– لإدراك هشاشة هذه العلاقات ومخاطرها.

الإنتقال والتخلف

وسرعان ما بدأت شكوكه تدور حول السياسة الداخلية. فقد كانت الإصلاحات الاقتصادية المتعلقة بالسوق التي اقترحها وشرع فيها الاقتصاديون السوفيات (خصوصا ليبرمان وترابزنيكوف) محط نقاشات عديدة، في وقت كانت تعترض فيه الجزيرة ضرورة إعادة تحديد إستراتيجية للنمو.

كان النقاش الذي خيض خلال الفترة الفاصلة بين ١٩٦٣ و١٩٦٥، داخل وزارة الصناعة ثم داخل القيادة الكوبية، يدور حول بناء الاشتراكية، وبالضبط حول شروط الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية في جزيرة خاضعة لقيود زراعة السكر الأحادية وللضغوطات المباشرة للسوق العالمية، وعلاوة على ذلك يؤدي الحصار المفروض من طرف أكبر قوة اقتصادية عالمية الى عرقلة تطورها.

كان الجدال يتعلق بدور قانون القيمة خلال مرحل الانتقال، ودرجة مركزة المؤسسات، ثم دور الحوافز المادية والمعنوية. فأولئك الذين ينوهون بأهمية قانون القيمة، يخصصون مكانة كبرى لآليات السوق في الاقتصاد المخطط وأيضا، لضرورة منح استقلال مالي للمؤسسات مع إصرارهم على دور الحوافز المادية للزيادة في إنتاجية العمل. أما تشي وأنصاره، فكانوا يشددون أولا، على ضرورة تسيير مركزي نظرا لتفاوت التطور الكوبي: فهناك شبكة متطورة للاتصالات والنقل ولكن، بالمقابل، هناك نقص جسيم في الأطر، وهناك ضرورة لفرض مراقبة صرامة على المواد، نظرا للحصار والمستوى الضعيف للتطور ثم خصوصا، لقلة العملات الصعبة. فقد كان يعتقد بأن الاستقلال المالي للمؤسسات، من شأنه أن يشكك في الأولويات التي تم إقرارها على المستوى القومي وذلك لصالح الاختيارات القطاعية، كما من شأنه أن يزيد من استقلال المدراء فيما يخص الاستثمارات والأجور، وأن يؤدي إلى تطور متفاوت وغير متوازن. وكان يخشى نتائج نظام عمل مبني حصرا على الحوافز المالية، وكذا التمايزات الاجتماعية التي ستنتج عنها حتما ، الأمر الذي جعله يكتب: "ها نحن نعود إلى نظرية السوق... فتنظيم السوق كله مبني على الحافز المادي... والمدراء هم الذين يستفيدون كل مرة أكثر. علينا أن نرى آخر مشروع وضع في الجمهورية الألمانية الديمقراطية، لنجد الأهمية التي أعطيت فيه لتسيير المدير أو بالأحرى لمكافأة المدير على تسييره"(٤). هذا التنبؤ، سنرى نتائجه بعد خمسة وعشرون سنة خلال انتفاضة الجماهير الشعبية في ألمانيا الشرقية التي لم تعد تحتمل الركود الاقتصادي وغياب الحريات السياسية وامتيازات القادة الفاسدين.

كانت كل من الحساسية الحادة اتجاه البيروقراطية والاعتبارات السياسية والاجتماعية تدفعان تشي إلى معارضة الأولوية الممنوحة للعلاقات المالية–التجارية في بناء الاشتراكية، لكن دون أن يعني ذلك أبدا أن لديه وهم إلغائها دفعة واحدة. فبعيدا عن التشويهات التي لحقت مواقفه، كان يصر على ضرورة الحوافز المعنوية التي يعتبرها بمثابة حوافز جماعية إلى العمل. هذا التصور كان يتماشى مع سياسة أجور مرتبطة بشكل وثيق بتطوير المؤهلات، حيث أن "الاختيار الصحيح لأداة تعبئة الجماهير" هو الذي يهم أكثر، وبدونه لن تنجح الاشتراكية. فمساواة الحقوق وتشريك الاقتصاد –الذي ربما كان مبالغا فيه– كانا حماسيا بالنسبة للمقاومة الشعبية التي رأت بأن عالما آخر ينبني في وجه العدوان الأمريكي وأنه يستحق القتال. لكن تشي كان يعترف أنه ليس معصوما، ويؤكد على أنه إذا ما تبين أن تصوراته "ستشكل عائقا خطيرا على تطور القوى المنتجة، فيجب استخلاص الدروس منها وسلك طريق آخر معروفة"(٥).

إن تطوير الوعي الثوري والتعليم من شأنهما أن يساهما في اكتساب موقف ثوري إزاء العمل (لهذا كان يعطي المثال، ليس لأنه مازوشي بل لأن الضرورة تفرض ذلك). كما أن "تكوين الإنسان الجديد وتطوير التقنية" من شأنهما أن يتيحا الانتقال نحو الاشتراكية. كانت العلاقة بين الاشتراكية والإنسان في قلب اهتماماته، حيث يعتبر الإنسان عاملا أساسيا في الثورة و"فاعلا في عملية بناء الاشتراكية". وبالنسبة إليه، يوجد التعليم والوعي في قلب هذا المجتمع العادل" "في هذه المرحلة في بناء الاشتراكية، يمكن لنا أن نشاهد ولادة الإنسان الجديد. إن صورته لم تحدد بعد، لا يمكن أبدا أن تحدد نظرا لأن تطوره يسير بالتوازي مع تطور البنيات الاقتصادية الجديدة... إن الإنسان الذي يجب أن نخلقه هو إنسان القرن ٢١، رغم أنه مازال مجرد طموح ذاتي وغير منتظم"(٦).

هكذا، وبعيدا عن التشويهات الستالينية، كانت مقدمات تشي مفعمة بروح إنسانية وثورية. لكن الصحيح أيضا أنه كان يشدد على نقد الاقتصاد وعلى الوزن الذي تكتسيه علاقات السوق، ولا يشدد بما فيه الكفاية على الطابع البوليسي والقمعي للنظام السياسي السوفيتي. ومما لاشك فيه، أن هذا ما يشكل إحدى الثغرات الأساسية في تفكيره. وقد أشار أحد كتاب سيرته روبيرتو ماساري (٧) وأيضا كارول إلى نقط الضعف في تفكير تشي والتي تتجلى، إلى حدود سنة ١٩٦٣ تقريبا، من خلال عدد من خطاباته وكتاباته. وكان هذا الضعف يتماشى مع سذاجة ما، بارزة في الأحكام التي كان يصدرها على أطر PSP القديم.

وفي غضون سنة ١٩٦٦، سيعمق تفكيره النظري وهو يعلق على "كتاب الاقتصاد السياسي للإتحاد السوفيتي": "إن الجريمة التاريخية الفظيعة التي ارتكبها ستالين" تتمثل في "استهتاره بالتكوين الشيوعي وإرساء عبادة السلطة بشكل لا محدود"(٨).

ضد النزعة العقائدية

"إنتفاضة ضد الأوليغارشيا وضد النزعات العقائدية الثورية". هذا ما كتبه في يومياته في بوليفيا وهو يحتفل بذكرى ٢٦ يوليو. كان ينتقد بصرامة "النزعة المدرسية التي كبحت تطور الفلسفة الماركسية، وحالت بصورة ممنهجة دون دراسة هذه الحقبة التي لم تحلل أسسها الاقتصادية" (نص الاشتراكية والإنسان).

كان تصوره للطليعة، والتي يقودها قادة نموذجيون، يدل على تفكير نقدي، لكنه غير مكتمل، حول دور ومكانة الحزب في علاقاته مع المنظمات الجماهيرية. كان يسخر وهو يقول: "لقد سبق للحزب أن قرر ذلك، وما عليك إلا أن تتحمله"(٩) ويؤكد: "يجب علينا ألا نخلق مأجورين خاضعين للفكر الرسمي ولا "بورصويين" يعيشون تحت حماية ميزانية الدولة وهم يمارسون حرية مشكوكا فيها".

لكنه لم يكن يحلل مساوئ الحزب الوحيد/حزب الدولة: فتجربته لست سنوات في قيادة الدولة الكوبية كانت جد قصيرة. فقد وسمته الحرب والنزاع الجسيم مع واشنطن، وكذا خصوصيات التجربة الكوبية. وفي سييرا مايسترا، عارض الجناح المدني لحركة ٢٦ يوليو المتماثل مع جناح يميني، واتضح أن وجود ثلاث تيارات مختلفة (M-٢٦-٧،Directoire،PSP) إلى حدود ١٩٦٥، كان عائقا أمام وحدة الثورة. ولم يتشكل الحزب الواحد إلا في سنة ١٩٧٥ لفرط ما كان الاندماج صعبا. ففي أجواء الحرب لسنوات الثورة الأولى، كانت المقاومة هي كل ما يهم، أما التعددية فقد أرجئت إلى ما بعد.

لم يمنعه هذا من تطبيق تصور سياسي يختلف بصورة عميقة عن ذلك الذي أرساه النظام الجديد. فالشفافية سادت خلال الاجتماع الوطني للإنتاج سنة ١٩٦١، وتم الإفصاح جهارا عن أخطاء المسؤولين عنها. فقد صرح أمام ٣٥٠٠ إطارا في الحكومة: "ها أنتم تستقبلونني بتصفيقات حارة، لكنني لا أدري هل كمستهلكين أم كمتواطئين، وأظن أنه بالأحرى كمتواطئين".

كان الوحيد –وكم من انتقادات تعرض لها!– الذي خاض نقاشا علانيا ومتناقضا حول النظام الاقتصادي للبلاد في مجلة وزارة الصناعة. هذه الأخيرة، فضلا عن ذلك، كانت ملجأ لكل أولئك الذين أزيحوا من مسؤولياتهم: هكذا، فقد أدمج فيها وزير الاتصال سابقا أولتوسكي الذي أزيح من الحكومة في يوليو ١٩٦٠. والطرفة لها دلالة خصوصا وأن تشي كان قد دخل في جدال عنيف مع اولتوسكي خلال الانتفاضة. هذا الأخير كان عضوا في الجناح اليساري لـ M-٢٦-٧ وكان معروفا بعدائه الشديد للاتحاد السوفيتي، في الوقت الذي كان فيه التقارب مع البلد مطروحا في جدول الأعمال. وعلى النحو ذاته، رفض تشي أن يتنازل لضغوطات قائد نقابي كان يطالب بتسريح مستخدم في البنك متهم بمناصرته لباتيستا، وشهر ببداية المضايقات والملاحقات المنظمة وهو يدافع عن شرف هذا المستخدم.كتب هذا المقال في العام ١٩٩٧ في الذكرى الثلاثين لاغتيال تشي، المترجم

مجلة انبركور. العدد ٤١٥.

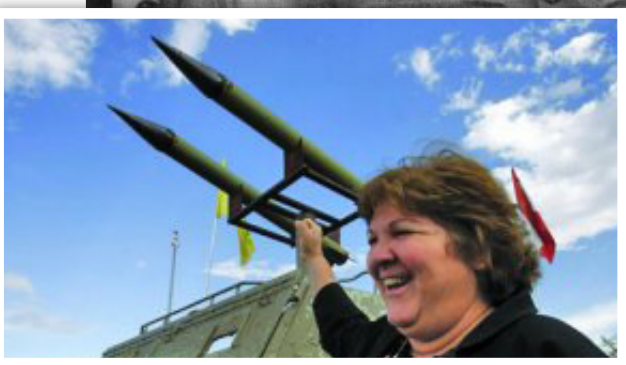

ابنة جيفارا اليدا تشي: لن اتاجر باسم ابي

حاولت منذ صغري ان تكون لي شخصيتي المستقلة بعيدا عن والدي

الطريق اليها لم يكن سهلا فهو محفوف بالحنين والرومانسية وعطر الثورة الذي لا يغيب .. لا يمكن ان تفكر في د. (اليدا) دون ان تحضرك صورة ابيها .. المناضل اللاتيني الطويل ذي السيجار الكوبي الشهير واغنية (جيفارا مات) للشاعر احمد فؤاد نجم والملحن الراحل الشيخ امام .. تربكك هذه السيدة حين تقع عليها عيناك فهي ممتلئة قصيرة وشقراء لا تشبه تشي جيفارا اشهر ثوار امريكا اللاتينية والذي اصبحت صورته تميمة شبابية على القمصان والولاعات وجدران البيوت وزجاج السيارات!. لكنك سرعان ما ترى في عينيها عنفوان ابيها وحماسته العارمة لعالم افضل وهي تتحدث عن مفردات نسيها العالم مثل العدل والتضامن والحب.

السيدة اليدا جيفارا التي جاءت الى مصر في زيارة غير رسمية بدعوة من جمعية الصداقة المصرية الكوبية .. تحمل كعادة الاسبان واللاتينيين (لقبين) وليس لقبا واحدا الاول لقب عائلة الاب جيفارا والثاني لقب عائلة الام (مارش) .. ليصبح اسمها اليدا جيفارا مارش وتعيش في كوبا وتحمل الجنسية الكوبية .

× نعلم الكثير عن حياة جيفارا ومشواره الثوري لكننا لا نعلم سوى القليل عن عائلته ، فماذا يمكنك ان تخبرينا ؟

– تزوج تشي جيفارا مرتين وانجب من زوجته الثانية اربعة ابناء انا اكبرهم واعمل طبيبة اطفال واخوتي هم كاملليو وسييلا وارنستو وهم محاميان وطبيب بيطري ونحن ابناء جيفارا من زوجته المناضلة الثورية الكوبية اليدا مارش واسماني على اسمها ولسوء الحظ لم يشهد والدي ميلاد اي منا فقد ولدت انا على سبيل المثال ووالدي يتنقل بين اوروبا الشرقية والصين وقتل وعمر اخي الاصغر بضعة شهور وكانت زياراته لنا متقطعة وقليلة للغاية .

× ماذا يعني بالنسبة لك ان تكوني ابنة جيفارا؟

– انا سيدة كوبية تربيت في احضان ثورة بلادي كغيري من الكوبيين ولهذا نحن نحمل بداخلنا افكارا تتسم بالتحدي وبرغم انني افخر بكوني ابنة المناضل الثوري الكبير الا انني لا ارى ان هذا يعني ان اكون افضل او اسوأ من الاخرين ، لان ما يميزني حقا ان اكون مفيدة للمجتمع بغض النظر عن اسمي وهذا ما احاول ان افعله ، وما علمه لي ابي فانا لا ازهو به على الاخرين باسم ابي ولن اتاجر به .

× كثيرون يتساءلون لماذا لا تعمل ابنة جيفارا بالسياسة ؟

– بالفعل دائما ما يسالني الناس هذا السؤال واجيب بانني بالفعل سيدة تعمل بالسياسة ولكن بشكل مختلف فانا اعتبر ان كل رجل او امراة يعمل ويخدم المجتمع هو بالفعل يمارس عملا سياسيا بشرط ان يكون لديه ايمان عميق بان بلاده يجب ان تعيش بكرامة ومن هذا المنطلق انا لا اعمل بالسياسة ولا ارتزق منها لكنني اؤمن بسياسات الاحترام والتضامن والعدل والمساواة .

× هل امتهنت الطب سيرا على نهج والدك الذي كان طبيبا ؟

– في الواقع انا امتهنت الطب لانني احبه بغض النظر عن كون ابي طبيبا وبالمناسبة هو لم يمارس الطب كحرفة وانما كرسالة ووسيلة لخدمة الناس واذا كنت تعنين انني اشبه والدي او اسير على خطاه فهذا شيء طبيعي لكنني حاولت منذ الصغر ان تكون لي افكاري المستقلة .

× كيف ترين الوضع في العالم العربي وافريقيا ؟

– انا ارى انكم كشعوب عربية بحاجة الى ان تكونوا اكثر وحدة وتضامنا ونرجو ان نراكم تستعيدون كل القوة التي فقدتها دول عدم الانحياز في الستينيات اذ يجب ان نوحد قوانا معا لنقف امام الدول الصناعية المتقدمة التي لا تفكر الا في مصالحها ، وانا ارى ان هناك الكثير الذي يمكن ان نتعلمه من بعضنا البعض ولكن ينقصنا الاحترام المتبادل فنحن يجب ان نؤمن باننا شعوب فاعلة يجب ان تمتلك ما تنتجه ويجب ان نواجه الكيانات الاقتصادية الكبرى التي تستهلك مواردنا من دون فائدة .

× كيف تنظرين الى وجود ادارة جديدة بقيادة باراك اوباما في الولايات المتحدة تدعو للتغيير ؟

– تغيير الرئيس الامريكي لا يعني بالضرورة تغييرا في السياسات الامريكية لان سيد البيت الابيض منصبه السياسي منصب شرفي فالسلطة الحقيقية في يد الشركات الكبرى في امريكا فهي على سبيل المثال تدعم الحرب في العراق ولهذا لا اظن ان السياسة الامريكية سوف تتغير بوصول رئيس جديد لكن ما اتمناه هو ان تنسحب القوات الامريكية من العراق وافغانستان وهو امر صعب جدا ان يفعله رئيس امريكي وحده بعيدا عن دعم الشركات الكبرى وبالنسبة لبلدي كوبا فان قرار رفع الحصار عنها في يد الكونجرس وليس يد الرئيس الامريكي .

× تقولين انك لا تمارسين العمل السياسي بشكله التقليدي ولكن كلماتك توحي بعكس ذلك ؟

– (تضحك بشدة) وتضيف انا كوبية ونحن في كوبا نقول ان كل كوبي عبارة عن مطرب وفنان ومجنون!

× هل تعلمين ان هناك اغنية شهيرة جدا اداها ملحن مصري راحل اسمه الشيخ امام وكتبها شاعر كبير هو احمد فؤاد نجم تتحدث عن جيفارا وكانت رمزا للصمود في وجه الظلم في الستينيات والسبعينيات؟

– هناك اغان كثيرة تحكي عن جيفارا وبعضها وصل الينا من مصر واليونان وهذا شيء اراه جميلا للغاية لان وفاء الشعوب يتمثل في تقديم هذه الاغنيات وهذا ما يلمس قلوبنا نحن عائلة جيفارا.

×ماهي ذكرياتك مع جيفارا كمناضل وكأب؟

– تتنهد وتبتسم قائلة: اخر مرة رأيت ابي كنت في عمر السابعة وبرغم هذه السن الصغيرة لاازال احتفظ في ذاكرتي ببعض المشاهد والذكريات الجميلة حتى ان اخي الاصغر كامللیو يسخر مني ويقول لي: اليدا انت تتمتعين بذاكرة كذاكرة الفيل! وقد تعرفت على والدي من خلال والدتي التي كانت تحبه كثيرا ومن خلال اصدقائه الذين اولونا رعاية كبيرة وفاء لذكراه وكان عادة مايزورنا في البيت متنكرا في هيئات مختلفة واخر صوره له في ذهني كان يظهر فيها رجلا طويلا يرتدي الملابس العسكرية ويعاملنا بحنان كبير وكان ذلك قبل وفاته بأيام قليلة وهو في طريقه الى بوليفيا وكنت التقي به دون ان اعرف ان هذا الشخص هو ابي فقد كان يقدم نفسه الينا على انه صديق حميم لوالدي وذلك بسبب الخطر الكبير على حياته وفي اخر زيارة احضر لي الكثير من الحلوى واثناء لهوي سقطت وجرحت رأسي ولان والدي في الاصل طبيب فقد سارع بالتقاطي من الارض ومداواتي وحينها ذهبت الى امي وقلت لها هل تعرفين.. هذا الرجل يحبني جدا وان كنت لااعلم لماذا؟ ولم تستطع امي الرد بالطبع وقد سجلت ذكرياتي

مع والدي وانطباعاتي عنه في كتاب يحمل عنوان(ذكرياتي مع والدي تشي).

×رغم هذه الزيارات الخاطفة هل من دروس حرص على تعليمك اياها؟

– أووه.. الكثير.. والدي كان يبعث لنا بالخطابات من الغابات اثناء اختبائه وكان يحكي لنا في هذه الخطابات عن العدل والظلم من خلال شخصية اخترعها هي(التمساح بيبي) وكيف ان هذا التمساح شرير يسيء للاخرين واذكر انني في احدى زياراته اعطيت الحلوى التي منحني اياها لاخي الاصغر فقال لي انا فخور بك يا اليدا لانك قمت بواجبك كأخت كبرى واعطيت لاخيك الاصغر الحلوى ولهذا سوف اكافئك بأعطائك المزيد منها هذه كانت طريقته في تعليمنا والدي كان يقدر كثيرا العطاء وهو شخصيا كان نموذجا للعطاء وكيف يمنح الانسان نفسه من اجل قضية يؤمن بها..

×يبدو ان والدتك المناضلة الثورية لعبت هي الاخرى دورا كبيرا في حياتك وحياة جيفارا نفسه..

– هذا صحيح والدتي كانت شديدة الحرص على الا تشعرنا بغياب والدي ابدا وكانت تتحدث عنه بأستمرار ولهذا كنا نشعر دائما بوجوده وهو واجب كبير قامت به تجاه والدي الذي كان يحبها كثيرا وحين كنت في السادسة عشرة سألني احد الناس: لماذا تحبين والدك؟

فكانت الاسباب اكثر من ان تعد او تحصى وانا اعرف ان حب الاب يختلف كثيرا عن حب الام فحب الام فطري اما الاب فيجب ان يكتسب حب ابنائه وانا كنت اعلم جيدا من هو والدي وكيف لم تتح له الفرصة لكي يعطينا من الحنان كما كان يحب ويتمنى.

والدي كان محاربا رائعا وزعيما لايشق له غبار وكان يستطيع قيادة الناس بمنتهى السهولة واليسر لانهم كانوا يثقون به بسهوله وبسرعة بسبب صدقه وايمانه الشديد ولم يكن اي شخص يعمل تحت امرة والدي يعصي او يرفض له امرا لانه لم يكن يأمر اي شخص بأي عمل دون ان يكون هو نفسه قادرا على فعل هذا الشيء وانا لارى تشي كما يراه الناس ثوريا مناضلا فقط بل اراه رجلا متكاملا كانت قوته الحقيقية تكمن في معرفته كيف يحب..

×يعرض هذا العام فيلم روائي يتناول حياة جيفارا بالاضافة الى فيلم اخر قدمه الفنان عمر الشريف في الستينيات مارأيك في مثل هذه الاعمال؟

– الافلام التي قدمت عنه حتى الان افلام غير دقيقة وبها اخطاء تاريخية كما ان تشي لم يكن مجرد رجل محارب كما تصوره هذه الافلام بل كان رجلا صاحب فكر ومبدأ وهذه الافلام متأثرة بشدة بوجهة النظر الاميركية في السينما وجيفارا نفسه لذلك فأن صورة جيفارا تبدو مشوهة في كثير من الاعمال.

×ما وضع المرأة في كوبا؟

– المرأة الكوبية كانت قبل الثورة مضطهدة بسبب فقر البلاد ونحن في كوبا ثقافتنا ثقافة ذكورية بسبب الميراث الكاثوليكي الاسباني الذي يقلل من شأن المرأة وكذلك الميراث الافريقي لكن في المقابل لدينا رجال عظماء وقفوا بجانب المرأة مثل خوسيه مارتين صاحب المقولة الشهيرة (ان الرجل الذي يضرب المرأة بفرع وردة لايستحق ان يكون رجلا) وانا اؤمن تماما بهذه العبارة وفي كوبا تشغل النساء نحو ٦٠٪ من الوظائف لكنها لا تزال تحاول تحقيق المساواة داخل المنزل لان الرجل الكوبي لايمكن ان يصنع لنفسه فنجان قهوة؟ ولاتزال المرأة الكوبية تحاول الوصول الى وضع افضل مما وصلت اليه!

من هو جيفارا؟

ارنستو تشي جيفارا طبيب ارجنتيني الاصل من اسرة ميسورة الحال تأثر كثيرا بأفكار والده الاشتراكية وقرأ الكثير من الكتب لمؤلفين يساريين.. التحق بجامعة بوينس ايريس لدراسة الطب واثناء دراسته الجامعية سافر لمدة عام الى الكثير من دول اميركا اللاتينية على دراجته الخاصة ولمس مدى تدهور وسوء احوال البلاد هناك مما اثر على تفكيره واتجاهه نحو اعتناق الفكر الماركسي والعمل العسكري الثوري ودون رحلته في كتاب بعنوان (يوميات دراجة) وحقق الكتاب اعلى المبيعات انذاك.. ترك جيفارا دراسته للطب وتفرغ لمساعدة البلاد الفقيرة وانضم لاحقا الى فيدل كاسترو في حركته الثورية التي نجحت في الوصول الى الحكم في كوبا ومنحه كاسترو الجنسية الكوبية ونال منصبا سياسيا رفيعا هناك كما كان رئيس بنك كوبا الا ان جيفارا ترك كوبا متجها الى تحرير المزيد من دول اميركا اللاتينية ولنشر الثورة هناك حتى عام ١٩٦٧ حيث وقع في قبضة الاستخبارات الاميركية وقتل في احراش وغابات بوليفيا.

عن مجلة الاهرام العربي

تـــشـــي: الـــوجـــه الآخـــر

لطفية الدليمي

تعرفت خلال عامي اللجوء في فرنسا بكاتب كوبي معارض لنظام كاسترو هو (خيسوس زونيكا)، الذي هرب من كوبا في مغامرة مروعة تاركا زوجته المحامية التي تعمل في مجال حقوق الإنسان وابنته الصغيرة وعمله كصحفي مستقل ،ولم يكن قادرا على مهاتفة عائلته، فكان يتصل بصديق له في بنما ليبلغ زوجته بأخباره ،كنا نقيم في بيت الصحفيين في باريس مع لاجئين آخرين– و نلتقي نهارا في قاعة دروس اللغة الفرنسية ثم ننشغل أنا وخيسوس بالكتابة كل على حاسوبه، هو يكتب الفصول الأخيرة من كتابه الثاني (تشي: الوجه الآخر) وأنا أدوّن بعض اليوميات وأكتب الفصول الأولى لرواية (سيدات زحل)–بينما ينغمر الباقون بسماع الموسيقى والدردشة على المسنجر..

حدثني خيسوس كثيرا عن وحشية الثورة ودموية الثوار وانحلال الثورة وأيدلوجيتها جراء العنف المفرط والتطبيق الخاطئ للاشتراكية واستبداد مجموعة الثوار الذين امتلكوا السلطة واستيلاءهم على مقدرات وممتلكات الطبقات المتوسطة والبورجوازية وطردهم المالكين من منازلهم وقصورهم إلى الشارع، ومن يعترض يكون مصيره الموت ، و قد وثق تحولات الثورة المشينة في كتابه الأول (كوبا– الديكتاتورية الاستوائية)، وكان معنيا بفضح الأسرار الخفية لما وراء بريق الثوار وصورتهم المؤسطرة ، في هافانا اخترق ملفات رسمية وسرق معلومات خطيرة قبل هروبه من كوبا مما أثار السلطة فأصدرت عليه حكما بالإعدام لكشفه معلومات سرية عن آلاف الضحايا الكوبيين –وفضحه وقائع غرائبية عن دموية الثوار إزاء المعارضين أثناء مشاركة جيفارا في الحكم ، وكان(تشي) حسب كتاب(خيسوس) المحرّك للعنف السلطوي، وقد استشهد (خيسوس) بكتاب مذكرات جيفارا (رحلة على دراجة) عندما اكتشف جيفارا بؤس القارة اللاتينية وجوعها الذي سببته الشركات متعددة الجنسيات وأكد فيه ضرورة إيقاظ السخط ومواجهة العدو بأقصى درجات العنف والكراهية، وتكشف مقولة جيفارا التي ختم بها كتاب مذكراته ،تلك التوجهات العنيفة (علمت أنه حين تقسم الروح الهادية العظيمة هذه الإنسانية إلى شطرين متصارعين ، فإني سأكون إلى جانب الشعب ، أعرف هذا وأراه مكتوبا في سماء الليل وأنا الداعية الذي اختاره القدر لهذا وأنا المحلل النفسي للعقيدة (...)، سأهاجم المتاريس والخنادق وسأحمل سلاحي الملطّخ بالدم ، سأذبح –أنا الممتلئ بالسخط – أي عدو يقع بين يدي – أرى نفسي قربانا للثورة الحقيقية والمعادل العظيم لإرادة الفرد الذي يعترف باقترافه أبشع الأخطاء وأفدحها ، و أشعر بأن أنفي يتسع ليستنشق الرائحة اللاذعة للبارود والدم وموت العدو ويفعم جسدي بعزم حديدي فأعدّ نفسي للمعركة لتكون فضاء مقدسا).

ويقول جيفارا في مذكراته: (لكي ترسل رجالاً إلى فرقة الإعدام، فالإثبات القضائي غير ضروري...فهذه الإجراءات هي تفاصيل برجوازية قديمة. هذه ثورة، والثوريون يجب أن يصبحوا آلات قتل باردة مدفوعة بالكراهية الخالصة!) وعندما صدر كتاب خيسوس (تشي: الوجه الآخر) كانت ساحات باريس تحتفل بذكرى جيفارا ويرتدي المحتفلون الراقصون على أنغام (السالسا) قمصاناً تحمل صورته بينما يستغل الصناعيون والتجار المناسبة كل عام لبيبعوا ملايين المنتجات التي تحمل صورته متربحين من قضية لايؤمنون بها !

وقد عمدت أفلام عديدة إلى تحطيم أسطورة جيفارا حين أظهرت الانتهاكات التي اقترفها هو و كاسترو وراؤول، ومن أبرزها الفيلم الموسيقي (المدينة المفقودة) الذي أخرجه ومثله (أندي غارسيا) وقدم فيه مشاهد عن عنف جيفارا ورفاقه وانعكاسات العنف على المجتمع وثقافته ومصير.

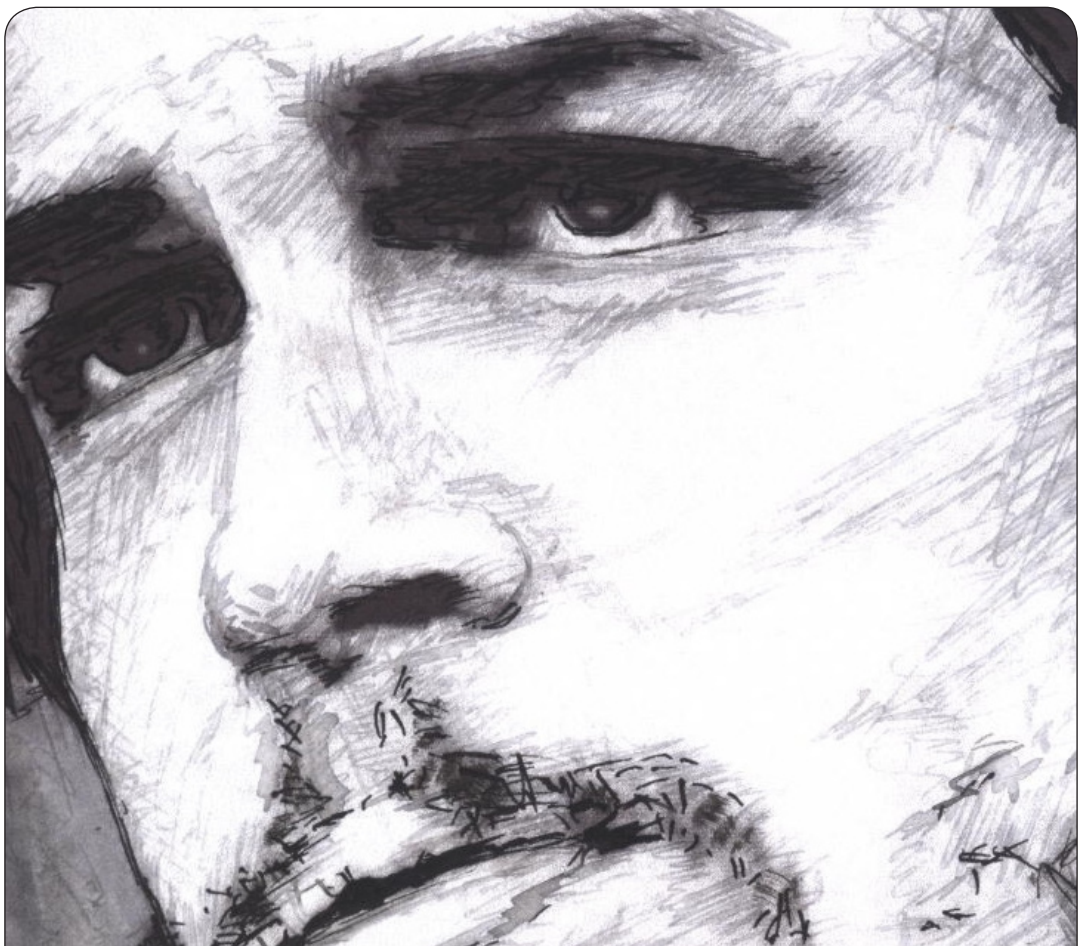

جيفارا الرمز والانسان والمناضل

تمر ذكرى جيفارا كذكرى عزيزة على كل محب للعدل والحرية ودفع الظلم عن بني الإنسان ليست الذكري او جيفارا وما يمثله من قيمة انسانية عظيمة خاصة بنا نحن فقد الاشتراكين انها فترة نضالية هامة فى تاريخ البشر وتجربة انسانية تستحق التامل والبحث . تهل الذكرى بكل ما تتركه بداخلك تستدعى ما تعرف لتكتب فتجد فعلا يصعب السير فيه من دون قلق، من الصعب إن تتحدث عن شخص ظلت حياته لأخر نفس زاخرة بالإحداث ،لكنها محاولة ربما تلقي ظلالا عن جيفارا الإنسان والمناضل الثوري. ولنبدأ من جيفارا الإنسان أين ومتى وكيف عاش لعل هذه المعرفة على بساطتها هي مدخل لفهم جيفارا المناضل والرمز، ولد زعيم حرب العصابات(تكتيك البؤر الثورية) في أغسطس ١٩٢٨ في احد أحياء العاصمة الأرجنتينية" يونيس ايرس" وتحديدا في حي "روز ار يو" لأسرة ميسورة ألام مثقفة من اصل اسباني مهتمة بالشأن العام إما الأب فكان مهندس مدني من اصل ايرلندي.

عصام حسن

عندما بلغ الرابعة من عمرة أوصى الأطباء بسرعة انتقال الأسرة إلى مكان أكثر جفافا حيث أخذت حالته الصحية تتدهور فانتقلت الأسرة إلى "كوردوبا "ومنها انتقلت إلى "التاغرسيا "وكان جيفارا الابن الأكبر بين اشقائة حيث كانت له أخت تدعى سليا ولقد أصبحت سيليا مهندسة معمارية كأبيها وكذلك أخته الصغرى "ماريا " إما الأخ الأصغر "روبرتو" فقد أصبح محامى.التحق جيفارا بالمدرسة الابتدائية "سان مارتن " ثم انتقل إلى مدرسة" مانوييل" وعاش جيفارا فى هذه الفترة فى فيلا فى منطقة " التاغراسيا" وكان والدة فى هذه الفترة يدير مزرعة لنبات "الماتى " وهو نبات مثل الشاي وكانت المزرعة ملكا لوالدته "سيليا " ولكن اضطرت لبيعها فى عام ١٩٤٧.ولقد كان المرض احد أسباب عدم انتظامه الدراسي الأمر الذي استدعى اهتمام اكبر من الأسرة لمساعدة في دروسه، ثم أنتقل جيفارا إلي "كوردوبا" ليلتحق بالمدرسة الثانوية" دين فيرتز" فى ظل ظروف تراجع مادي لعائلته الأمر الذي جعل جيفارا يعمل ليدبر مصاريفه الشخصية وفى هذكرياضي الفترة تحديدا ازداد ولع جيفارا بالأدب الفرنسي وازداد حبة للمخاطرة، نستطيع ان نجمل حاله جيفارا الفتى بأنه فتى ذا روح مرحة محبة للمغامرة ، كان يقضى وقته بين الترحال والقراءة وكان من محبي الكاتب "جول فيرن" و"ألكسندر ديماس" وكان يهوى كتابة الشعر والتصوير والرسم ورغم مرض الربو الذي صاحبه طيلة حياته وجعله مرتحلا بشكل دائم إلا انه كان معروفا فى نادى "اتالايا " كرياضي مليء بالحيوية، عني والدة ووالدته به وازداد اهتمامهم به منذ صغره لمرضه بالربو منذ كان يبلغ العامين ولعل ذلك الاهتمام وخاصة من جانب والدته واطلاعه على الأدب والشعر الفرنسي والاسباني كان أمرا مؤثرا جدا فى حياته، هكذا كان الفتى الذي مر بعد ذلك بعده محطات كان لها كبير الأثر فى خلق القائد الاممى تشي جيفارا فقد كان نبا القبض على والده "حيث أسس لجنة مساندة للجمهورية الأسبانية عام١٩٣٧" من الأمور المؤثرة فى حياته حيث جعله يحس بمعنى الافتقاد وبمعنى القهر الذي تمارسه السلطة اي سلطة على البشر حيث تحرمه من احتياجاته وتحد من حريته لكي لا يطالب بحقوقه.ولنتوقف عند احد المشاهد فى حياة تشي ففي المرحلة الثانوية ذهب جيفارا فى احد المرات منضما إلى مظاهرة غاضبة استهدفت احد النوادي الفاخرة التي يتردد عليها أغنياء الأرجنتين" نادي جوكي " ولقد كون جيفارا وجه نظر سابقة عن هذا النادي بأنه نادي المتخمين المستغلين!، وعندما وجد جيفارا المتظاهرين انضم اليهم مرددا " فليسقط المتخمين بالمال فليسقط المتخمين بالمال " التقط حجارة واخذ يقذف بها واجهات المحل الزجاجية مرددا اذهبوا إلى الولايات المتحدة أيها الخنازير.

وكانت رحلته في بعض أنحاء أمريكا اللاتينية مرتحلا على دراجة بخارية اضافة كبيرة و متكأ للتعرف على قسوة الحياة التي تحييها شعوب أمريكا الاتنية، يحدثنا جيفارا قائلا "عندما يتعرف الفقير على ظروفه الجديدة تولد داخله عدوانية يصعب إخفاءها – عدوانية تجاه هؤلاء الذين لا يردعون أنفسهم عن ظلم الآخرين، يقدم جيفارا في "احلامي لا تعرف حدودا" تحليل لمجمل الأوضاع في أمريكا اللاتينية وأوضاع سكانها الفقراء وما يتعرضون له من ظروف معيشية يحاصرهم فيها المرض والعوز والفقر وعبر هذه الظروف يصل إلى تحليل مفاده إن حل هذه المشكلات لن يتم بالحلول الفردية مبيننا حالة الاغتراب التي يعيشها العمال في معظم البلدان حيث يعيشون في ظل نظام إنتاج شبه عبودي لا يمنحهم سوى ما يكفيهم لان يبقون على قيد الحياة فحسب " عندما يجد الإنسان حياته بلا مستقبل بلا أفق يعيش دوما خائفا من ما هو آت لأنه لا يستطيع تأمين سبل المعيشة إلى أيام عدة قادمة ذلك المستقبل الذي سوف يظل قاتما في ظل تلك الظروف " ويضيف فى توصيفه لحالة العمال فيقول " في حياة شغيلة كل بلدان العالم أولئك الذين فقدوا أحلامهم في المستقبل الاتي تكمن المأساة " يلتحق جيفارا بكلية الطب ويصيغ مفهوما جديدا لتغيير المجتمع عبر صياغة مفهوم "الطب الثوري "والتي كانت من أهم كتاباته، يحدثنا جيفارا عن ذلك فيقول" أريد إن أمارس مهنة الطب لكني أرى ضرورة التغيير، التغيير الحقيقي الذي يكفل القضاء على مأسي البشر وعلى أسباب المرض وهذا الأمر لن يحققه الطب وحده، " – اعتقد ان ثروات هذه البلاد من المعادن ومن الأرض الخصبة يجب ان تخدم جميع الناس لا ان تخدم بعض العائلات الغنية فقط، أو الشركات الأمريكية فهؤلاء يشكلون دوما سرطانا لا يمكن القضاء عليه إلا باستئصالة النهائي".

لقد كانت روح جيفارا مثقلة بالربو ومثقلة بالمسؤولية أمام الفقراء وجموع الكادحين ولعل عبارته "أينما كان الظلم فهذا وطني" توضح تلك الروح الإنسانية المحبة للبشر و العطاء، وفى خضم هذا كله أعطى جيفارا الأهمية الكبرى لمفاهيم الثورة وتنظيم الجماهير لانتزاع حقوقهم وأعلى من شأن احتياجاتهم واكد على انه لا معنى لاي كيان أو نظام اجتماعي لا يلبي احتياجات البشر لتنتهي أنظمة اجتماعية وتأتي أنظمة جديدة كبديل لهذا البناء الاجتماعي

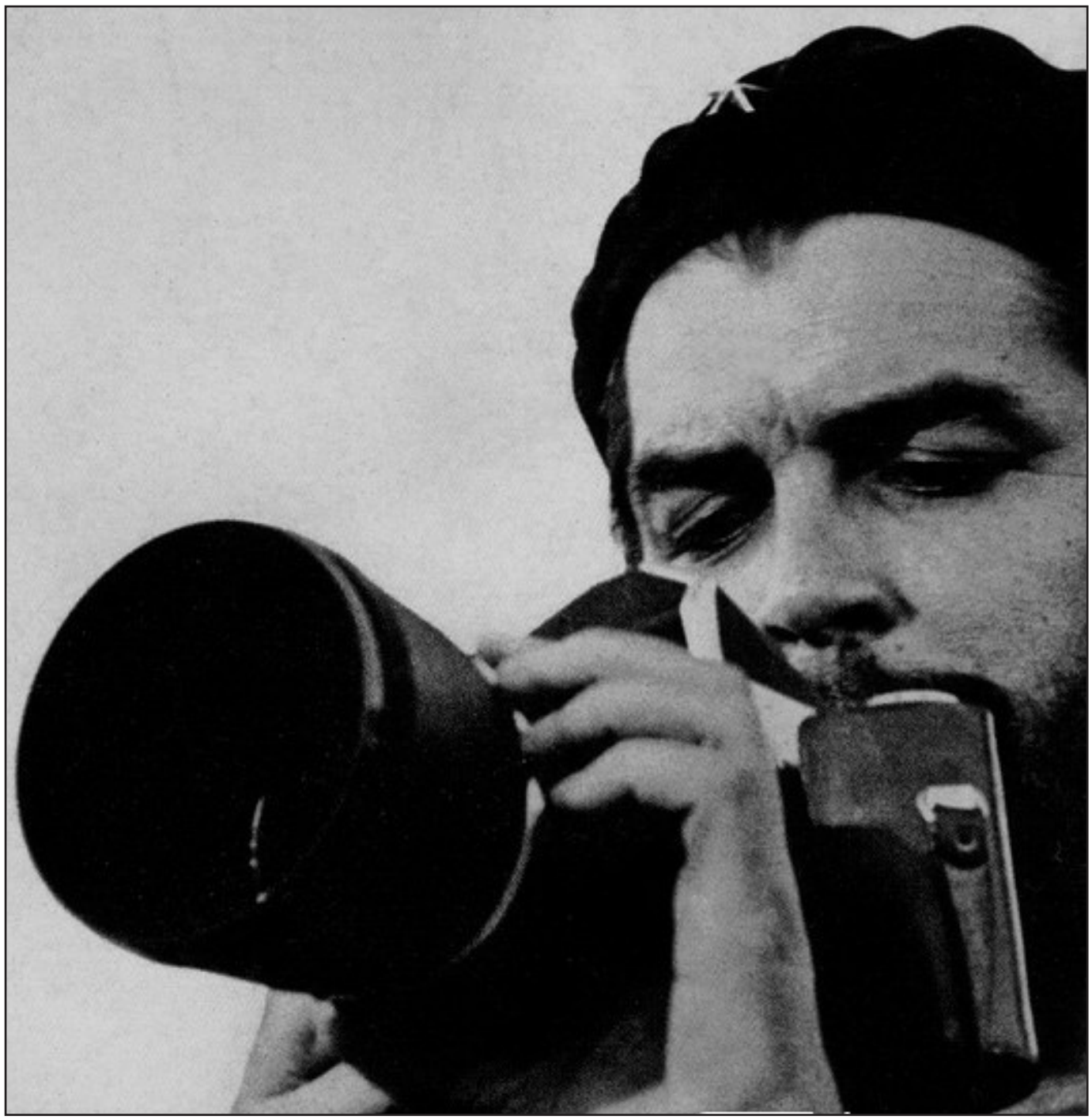

والطبقي السائد، ففي عبارة له يقول "دعونا نبدأ في محو كل مفاهيمنا القديمة"، لقد كان إيمان جيفارا بالجماهير من عمال وفلاحين وفقراء هو الأرضية الأساسية لنضاله من اجل تحريرهم، فنجده يقول " يجب ان نذهب بعقل فضولي وروح متواضعة لننهل من هذا المعين العظيم للحكمة الذي هو الشعب"".

اعتبر جيفارا أمريكا اللاتينية وطنا واحدا تتشابه فيه الظروف وتشترك في المعاناة من الفقر والاستغلال والاستعمار، لقد رأى جيفار الموت يزحف على العمال ورأى الفقر متجسدا في المرض والجوع ورأى الظلم متمثلا في أصحاب المزارع والمناجم والمستعمرين، رأى جيفارا مساحات واسعة من الكرة الأرضية عانت لقرون من السيطرة الاستعمارية وتوالت على دولها الانقلابات وتقاسمتها الدول الاستعمارية بقيادة أمريكا .

مجمل هذه الأوضاع هي التي كونت شخصية جيفارا وبلورت رؤيته الثورية وجعلته يتخذ طريقه النضالي بعد ذلك في بلدان عديدة مستخدما تكتيك حرب العصابات وتعبئة الجماهير للسير في طريق الاحتجاج المساند لتلك البؤر الثورية فى البلاد المستعمرة من اجل تحريرها .

يتخرج عام ١٩٥٣ وبعد عودته إلى "يوينس ايرس" تتم دعوته للخدمة العسكرية ولكنه لم يؤدها لعدم مناسبته لها، وفى العام نفسه يزور العديد من دول أمريكا اللاتنية، ويبدأ فى التعرف على بعض المجموعات اليسارية ويتناقش معها في بوليفيا، وغواتيمالا. بعدها يذهب إلى غواتيمالا في عام ١٩٥٤ لينضمم إلى صفوف الثوار هناك ولكن سرعان ما تم مواجهة الثوار من نظام " كاستيلو أرماس" بمعاونة الولايات المتحدة التي لعبت دورا في القضاء على الثورة، حيث أرغموا "اربنس" على التنازل عن السلطة وقام هذا التحالف الرجعى بإدارة البلاد بعد ذلك ومنعوا النشاط العلني للحزب الشيوعي وضيقوا الخناق على نشاط عماله ولقد تم أدراج اسم جيفارا ضمن العديدين من الأسماء التي رصدتها المخابرات الأمريكية على اعتبار أنهم أشخاص غير مرغوب فيهم وتم القبض على العديد منهم ولكن جيفارا استطاع عبر السفير الارجنتيني بغواتيمالا إلى الاختباء في مقر السفارة ليسافر منها إلى المكسيك ويقابل راول اخو فيدل كاسترو لينضم إلى فرقتهم الثورية لتبدأ رحلته النضالية في كوبا منذ ١٩٥٤حتى سقوط الديكتاتور "باتيستا" في ١٩٥٩ حيث يتولى بعد ذلك مهام عدة في الحكومة الكوبية.

يتحدث ارنستو إلى فيدل كاسترو في أول لقاء بينهم " طالما ان القهر موجود فسيكون هناك من يناضل ضده لقد التقت أحلام تشي مع كاسترو " واضعين برنامج إذا ما نجحت الثورة، حيث سيقومون بإقرار عقد اجتماعي جديد يقضي بتطبيق إصلاح زراعي يعيد توزيع الاراضي لمن يزرعها ووضع قوانين تحمى العمال وكان يحلم كلا منهما بتوفير المرافق من كهرباء وغيرها من المرافق إضافة إلى توفير خدمات التامين الاجتماعي والصحي وتوفير السكن لتكون الثورة ملكا للشعب ويساندها الكوبين، وكان جيفارا شديد الأيمان بضرورة تصفية الاستغلال باراضي أمريكا اللاتينية كان يحلم بأمريكا حرة وكان يود ان يبذل قصارى جهده وكل ما بملكة في سبيل هذا الهدف قائلا " أنا على استعداد للقتال ضد الطغاة في كل مكان"

لعل أحلام جيفار ورؤيته الثورية هي التي أعطته هذا الخلود الذي جعله رمزا لكل المناضلين فهو قائد حرب العصابات والثوري الذي يود دفع القهر عن كل المقهورين فى كل مكان أليس هو القائل "أينما كان الظلم فهناك وطني " أليس هو المؤمن بان التعساء في العالم هم سر تغييره، يرتحل جيفارا في نحاء أمريكا اللاتنية ويذهب لإفريقيا واسيا ويلعب ليس دورا كثوري ومحارب فحسب ولكن دورا على المستوى الدولي كمؤمن بالاميمية والدفاع عن كل الشعوب المضهدة، رحل جيفارا ولكنه ظل رمزا الملايين التواقين للعدل والحرية ، رحل تاركا ميراثا كبيرا من المعارك والمواقف والأفكار ذات الملامح الثورية ، ترك جيفارا المتجسد كرمز وكأسطورة والذي لن يستطيع احد تشويهه، قتل "السي اي أيه" جيفارا في بوليفيا ولكنه لم يستطع قتل افكاره الأفكار، لقد كانت معظم المنظمات المسلحة الثورية في العالم تهتدي بخطى التجربة الجيفارية وبأفكار ذلك الثائر حتى ان البعض يرى أن جزءا من التراث الذي راكم صعودا لليسار من جديد في أمريكا الاتنية كان جزءا منها الأفكار الجيفارية، كما كانت هناك علاقة جدلية بينها وبين حركة المقاومة العالمية والعربية سواء في الجزائر وفلسطين أو مصر أو الكونغو، لقد تركت الجيفارية بحسابات متفاوتة أثارها على هذه الحركة فقد تميزت الجيفارية بمنهج انساني صرف وتضامن أممي وثورية رومانسية تعلو عن الانتهازية أو الموائمات السياسية لقد كان نقاء التجربة الثورية لجيفارا لا يناظرها اى من التجارب الاشتراكية أو الحركات التحررية الأخرى رغم الملاحظات النقدية عليها، لقد رفض جيفارا البيروقراطية وأعلن موقفا واضحا منها وهاجمها هجوما عنيفا ورفض مظاهر الوصاية التي يفرضها الاتحاد السوفيتي مع بعض الدول حديثة التحرر من الاستعمار ونقد ممارسات الأحزاب الشيوعية في بوليفيا والاتحاد السوفيتي وكوبا ورفض الموقف السوفيتي تجاة الصين، لقد ظل جيفارا الأكثر اتساقا مع المواقف الثورية ذات الطابع الانساني بعيدا عن الحسابات السياسية الضيقة ومنطق فرض النفوذ لذا بقى هو المثال والرمز لجميع الحالمين بعالم مغاير تنتزع الشعوب فيه حقوقها عبر مواجهة العنصرية والاستغلال والهيمنة.

أخطأ جيفارا بلا شك عندما ظن ان البؤر الثورية (مجموعات حرب العصابات) فحسب هي القادرة على تغيير الأوضاع في بوليفيا والكونغو من دون حركة جماهيرية تساند تلك البؤر ومن دون الاخذ فى الاعتبار ظروفها الخاصة ومدى نضج الظروف الثورية الموضوعية فيها ..لقد أثبتت الأحداث خطأ نظرية تصدير الثورة التي كان يتبناها ولكن ظلت روحه الثورية وأيمانه بالعمل الثوري نبراسا لكل الثوريين.

حصاد خمسة عشر عاما من الترحال والنضال قضاها جيفارا متنقلا من بلد إلى اخر رافضا طوال هذه السنوات نموذج الاشتراكية السلطوية وممارسات البيروقراطية متجها إلى خلق نموذج جيفارى ان صح التعبير يكون هدفه الإنسان. كانت تجاربه تعتمد في أحيان كثيرة على التجربة الحدسية، قائد ذو نزعة إنسانية زاهدا في الحياة يحارب الاستغلال والاستعمار ويحارب في ذات الوقت البيروقراطية والتربح على حساب الشعوب.

ترك جيفارا نموذجا اشتراكيا ذا نزعة إنسانية من اجل الإنسان الجديد الذي بشر به، بالطبع لم يترك جيفارا ملامح مشروعة واضحة تماما ولكن أعطانا بعضا من الملامح بشان دور الفن والوعي والتعليم في بناء الاشتراكية، لقد أوضح لنا أيضا دور الحزب والطليعة الثورية في حركة التحرر وكذالك تحدث كثيرا عن التضامن الاممي رافضا في ذات الوقت ان تتحول الماركسية إلى دوجما أو تمارس معها شكلا من إشكال العبادة للنصوص وعبر النضالات المتكررة يبدو جيفارا الرجل الأكثر شجاعة ونقاء هكذا كان جيفار بفكرة وممارساته يمزج الأفكار الماركسية اللينينية والمأوية معا ويقترب من ثورية تروتسكي في فكرة الثورة الدائمة ، رغم انه رفض ممارسات التروتسكيين في كوبا وممارساتهم التخريبية إلا انه رأى من غير الصحيح الحجب على أفكارهم.

الثورة والكفاح المسلح كطريق اختاره جيفارا جعله النموذج الأكثر نبلا لقد أثرت تلك الأفكار على الحركة الاجتماعية وحركات التحرر الوطني وتحركات الشباب المناهضة للاستعمار والحرب فخلق علاقة

◄

جدلية بين عقد الستينيات والسبعينيات والأفكار الجيفارية و حركة التحرر الوطني في القارات الثلاث (أفريقيا واسيا وأمريكا الاتينية) خلقت موجة مواجهة للهيمنة والتحالف الاستعماري يمكن وصف هذة الموجه بالحلف المقاوم والذي انجذب إلية الكثير من شباب العالم والفئات الاجتماعية والطبقات التي تعاني القهر والاستغلال منجذبين إلى جيفارا وتجربته النضالية حتى ان مقولاته وشعاراته أصبحت نبراسا يتبعه المناضلون لمقاومة الواقع المرير. مئات من الزعماء والمناضلين الذين خاضوا نضالا عنيدا مع الإمبريالية والاستغلال لابد انهم مروا يوما على خطى جيفارا وأفكاره ونضالا ته واليوم برغم اي تشويه يتعرض له جيفارا ورغم متاجرة الرأسمالية وتحويله إلى سلعة نجد الشباب في العالم وليس مصر فحسب يبحث عن جيفارا كنموذج انساني مناضلا من اجل عالم أكثر إنسانية وعدلا.

الإنسان الذي نسعى إليه

يتحدث جيفارا عن الإنسان النموذج الذي لابد ان يكون موجودا ليس إنسان القرن التاسع عشر أو العشرين بل هو إنسان القرن الواحد وعشرون بذلك فقد قمنا بجلب ثمينا للماركسية اللينينية ويضيف جيفارا ان الجماهير الكبرى التي ينمو وعيها والإمكانيات المادية لتنمية جميع أعضائها تنمية كاملة يجعل عملنا مثمرا أكثر ويتحدث عن الفن والثقافة مشددا على ضرورة توسيع حقل الثقافة وامتلاك إمكانيات التعبير ليخلق المجتمع فنانين استثنائيين ،يبين جيفارا ان خلق مثل هذا الإنسان لا يتطلب الحرية وإشباع الحاجات فحسب وإنما يتطلب وقتا طويلا يستطيع المجتمع ان يفرز خلاله الثوريين الذين سيشيدون الإنسان الجديد بصوت الشعب الحقيقي ويلقى جيفارا العبء الأكبر والمستقبل على جيل الشباب فى كوبا لخلق ذلك الإنسان المتحرر من عيوب الماضي، ويحمل جيفارا كذلك مسؤولة كبيرة على عاتق الحزب الشيوعي في بناء الاشتراكية.

حول مفهوم الحزب

فى معرض حديث جيفارا عن كتاب الحزب الماركسي اللينيني لكاسترو يبين لنا مفهوما عن الحزب الشيوعي " قائلا انه أفراد جمعتهم وحدة الأفكار مشكلين جماعة لإحياء المفاهيم الماركسية ولإتمام الرسالة التاريخية للطبقة العاملة، ولقد افرد جيفارا شروط البناء الحزبي كتواصل الحزب مع الجماهير بشكل دائم وممارسة النقد والنقد الذاتي مؤكدا ان الطليعة الثورية للحزب الشيوعي لابد ان تكون الطبقة العاملة والتي تقوم بدور عظيم لخدمة مهام البناء كما يوضح أهمية وجود قيادة تمتلك الوعي الذي يساعدها فى تحديد متى تتقدم لخلق أوضاع جديدة فى حالة نضوج الأوضاع الاجتماعية والظرف الذاتي لها والظرف الموضوعي وكيف تضبط حركتها فى حاله التقهقر الاجتماعي ليحافظ الحزب الشيوعي على كوادرة لمعاودة النضال فى موجة أخرى من موجات الحركة والمواجهة الطبقية.

ولقد حددت الجيفارية بشكل واضح موقع الطبقات من النضال السياسي لتنفيذ مهام الديمقراطية الوطنية والتنمية ومهام التغيير الثوري والبناء الاشتراكي حيث أوضح الدور المتخاذل للبرجوازية التى تقف فى حيرة بين الانضمام إلى صفوف الإمبريالية أو صفوف القوى الوطنية والتي تحسم أمرها بانضمامها إلى صفوف الإمبريالية والتي تحفظ بذلك بقائها ونفوذها وسلطتها حيث لا تريد البراجوزية تغيير نمط الإنتاج الراسمالى السائد فى المجتمع والذي سياتى حتما ضدها .

وفى مقالة كتبها تشى عام ١٩٦٠ حول الثورة الكوبية والظروف على الصعيد الدولي والمحلي ابرز لنا موقف البرجوازية التى شاركت بعض منها فى الثورة أو على الأقل لم تتخذ موقفا عدائيا واضحا " سعت البرجوازية للبحث عن حلول تتيح عن طريق التفاوض استبدال نموذج باتيستا بعناصر أخرى للإشراف على الثورة – ولم يكن عجبيا ان تتخذ بعض القوى موقف الحياد " وأكد على ان البرجوزية لن تستطيع ان تتخذ موقف الصمت تجاه الثورة وأنها ستختار إن تنضم إلى الإمبريالية في النهاية موضحا موقف البرجوازية المعادي للانتفاضة الشعبية ذاكرا أنها اذا خيرت بين الانتفاضة الشعبية والانضمام للامبرالية ستنضم إلى الصفوف التى تضمن مصالحها من القوى الامبرالية والرأسمالية والاحتكارات ،و يذكر في ذات المقالة " ان البرجوازية لا تتردد في التحالف مع الامبرالية والإقطاع ضد الشعب وضد الثورة ".

الكوادر

ولقد حمل تشي الكوادر مهاما ودورا كبيرا داخل العملية النضالية موضحا انه لابد و ان يعطوا المثال فى التفاني والتضحية والحمية فى العمل ليمكن مواجهة الأعداء الطبقين الذين نزعت ملكيتهم فأولئك أعوان الاستعمار والقوى المستغلة التى صودرت مزارعها ومناجمها عند قيام الثورة لأنها سوف تسعى مرة أخرى بشكل دائم إلى محاولة أعادة سرقة موارد كوبا مرة أخرى وتحدث عن كيفية تربية الكادر الحزبي ليمارس دورة الثوري فى مهام البناء الملقاة على عاتقة ويرى جيفارا في مقالة بعنوان " داخل الثورة " نشر عام ١٩٦٢ ان بناء الكادر الثوري لا يتم الا في خلال العمل اليومي بشكل منظم يضمن تقدمه الايدلوجي وتكوينية السياسي و ان الكادر ليس ذلك العضو الذي يتمتع ببناء سياسي رفيع او فهم ايدلوجي وتحليل للواقع فحسب وانما هو الذى يمتلك ذلك إضافة إلى المسؤولية الشديدة والانضباط فى أفعالة وتصرفاته وفي ممارساته مع الجماهير ويؤكد جيفارا ان حركة الجماهير داخل الحزب الثوري وخلال التقاء الحزب وتواصله المستمر مع الجماهير ستفرز أفضل الكوادر – مركزا على الدور الديناميكي الذي لابد ان يلعبه الكادر الثوري حيث يفترض ان يكون فى حالة تعاون خلاق ومثمر مع الجماهير والرفاق داخل الحزب .

وحمل جيفارا الطليعة الثورية للحزب الشيوعي الجهد الأول " يجب ان يقوم القادة بدورهم من دون انتظار لمكافأة مادية – ان الثوري الحقيقي ينقاد لمشاعر كريمة ويستحيل وجود ثوري أصيل من دون هذه الصفة ويضيف " يجب أن ترتفع طلائعنا الثورية إلى المثالية بحبها للشعب والقضايا المقدسة "

وفى خطابة الذي ألقاه فى اجتماع مع شبيبة الحزب الشيوعي الكوبي فى عام ١٩٦٢ أكد أن الطليعة الثورية والشبيبة هما التنظيم الذي تتطلبهم الثورة للقيام بمهامها لما تتوافر داخلها من القدرة على البذل والعطاء وتقديم الجهد والتضحية في الدفاع عن الثورة عبر التنظيم الجيد الذي يحقق تحويل الأفكار والمبادرات إلى واقع ملموس ذاكر ا" ان الأفكار بلا تنظيم تفقد فعاليتها بعد لحظة الوثبة الأولى وتسقط شيئيا فشيئيا فى الروتين وفي النزعة التوافقية وينتهي بها الأمر إلى إن تصير مجرد ذكرى "

وأكد أيضا على عوامل وشروط للنهوض بالعمل الحزبي للطليعة الثورية ولشبيبة الحزب الشيوعي كوجود حالة من الجدل والحوار الديمقراطي لتبادل التجارب والأفكار بصورة مستمرة.

ويضيف جيفارا " يجب على الشباب الشيوعي ان يكون ذا حس مرهف بالواجب نحو المجتمع ومع أمثالنا من البشر ومع الناس فى العالم كله اين كان مبعث هذا الظلم يجب ان يتمرد على كل ما هو ظالم ". ولا ينسى جيفارا فى كلمتة التأكيد على الموقف الثابت من الأيمان والممارسة للبروليتارية الأممية والتضامن اللا محدود في سبيل عالم أكثر عدلا وحرية.

ويستشهد جيفار ببعض من عبارات " فيدل كاسترو " عن الماركسية " من قال ان الماركسية هي انعدم المشاعر الإنسانية الرفاقية – واحترام الرفاق – ان حب الإنسان هو الذي أوجد الماركسية فحب الإنسان والإنسانية والرغبة فى محاربة البؤس والظلم والعذاب والاستثمار الذي تعانيه الإنسانية هو الذي ولد الماركسية فى ذهن كارل ماركس "

ويوضح جيفارا ان الشيوعي الحقيقي هو الذي انضم للحزب الشيوعي ليكون كائنا إنسانيا حقا يترجم أفكاره من اجل الجماهير من عمال وفلاحين وفقراء من اجل محاربة الفقر والبؤس والاستغلال ومن اجل مناهضة الاستعمار والهيمنة وليخلق عالم بديل ويمضى فى الطريق لإشباع حاجات البشر وتمكينهم من إنسانيتهم ونفى الظلم عنهم عبر حركتهم الجدلية مع الحزب الثوري للمضي فى طريق التغيير الجذري الذي يضمن مشاركة الجماهير في الإنتاج والقرار والسلطة وخيرات الوطن.

التضامن الاممى في فكر جيفارا

بلا شك ان جيفارا من أهم من رسخ مفاهيم التضامن الاممى والفكرة الأممية عمليا فقد كان يمارس هذا الفكر الأممي بحسه المتدفق لتحرير كافة البشر من الاستغلال ولخلق عالم يبنية الفقراء والكادحين بأيديهم لذا كان جيفارا الأبرز و أهم الشخصيات التي رسخت هذا المبدأ، عشق الترحال بعثا عن الثورة وتفجيرا لها مهما تعاظمت المصاعب وحتى حين تستحيل الاماني ، حتى ان الحزب الشيوعي السوفيتي اعتبرة رجل من طراز خاص ،كما لا يمكن إنكار دور جيفارا فى عقد مؤتمر الثلاث قارات والذي عبر عن حركة التحرر المتصاعدة فى أفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية .

رحل جيفارا من الأرجنتين الى كوبا و ذهب الى بوليفيا وتشيلي والكونغو وكولومبيا وغوايتمالا ومصر والجزائر وحاول تدعيم أواصل التعاون مع كل حركات التحرر الوطني والجبهات والقوى التي تواجه الاستعمار بجميع أشكاله واكد جيفارا على الدور الاممي الذي لابد ان تلعبة اي قوى ثورية حيث يقول " اذا فقدنا حماستنا بعد ان تحقق المهام الملحة على النطاق المحلي واذا نسينا الأممية البروليتارية – كفة الثورة عن ان تكون محركا ونغرق في خمول صريح يستفيد منه أعداؤنا الامبراليون ، ان البروليتارية الأممية واجب .

يوكد جيفارا على البعد الاممي من منطلق الضرورة ومن قبل الضرورة من منطلق يؤمن بالإنسان – حيث يقول – يجب ان نناضل كل يوم ليتبدء هذا الحب الانساني فى وقائع ملموسة .

كان يرى جيفارا ان انطلاق شرارة الثورة فى بلد ما ، ما هي إلا خطوة لتحرير البشرية جمعاء وان نضال شعب ماء هو سهم موجة الى القوى الاستعمارية التي تستغل الشعوب

يقول جيفارا فى مقالة "فيتناميين أو ثلاثة ذلك هو الشعار " – ان عملنا كله صرخة حرب ضد الامبرالية ونداء مدو لوحدة الشعوب ضد العدو الكبير للجنس البشري " حينما نتأمل عبارات جيفارا انني أحس على وجهي بألم كل صفحة توجه على مظلوم في الدنيا أينما وجد الظلم فهذا هو وطني نعي جيدا كيف كان جيفارا منتميا لشيء واحد هو الإنسان - تبني الماركسية وامن بالاشتراكية العلمية مدافعا عن البشر وعشق الترحال من اجل الجماهير المستغلة مؤمنا بها محاربا من اجلها طامحا دوما بان تكون تلك الجماهير قادرة على تحرير نفسها مكن نيل الاستغلال وان تدفع المقصلة عن رقبتها لتضعها على روس القوى المستغلة والاستعمار

ببساطة يعلن جيفارا عن انتمائتة قائلا " انني انتمى إلى الجموع التي دفعت قهرها هرما – أنا انتمى إلى الجياع ومن سيقاتل يؤكد جيفارا موقفة الاممى أيضا فى مقالة له ألقيت فى هافانا سنة ١٩٦٢ فى ذكرى استشهاد احد مناضلى كوبا حيث يقول " مادام فى أمريكا أو ربما اى مكان أخر شر ينبض قهرة وخطا يجب تقويمة فان الثورة لن تتوقف، ان عليها ان تتابع مسيرتها إلى الإمام وان تتعرف بعمق على جميع المشاكل وأعمال الاضطهاد فى هذا العالم الذي نعيش فيه ان عليها ان تحس بألم الشعوب التي رفعت راية الحرية ضد عسف القوى الاستعمارية هناك أيضا فى أفريقيا واسيا وكل مكان يمتشق فية شعبا السلاح ويحفز للنضال ويردد القادة الوطنين فيه شعارات الحرية ضد الظلم الاستعماري .

"ويضيف المسؤولية الملقاة على قوى التحرير " ان شعبنا واجه الامتحان الذي واجه شعبا لا يمكن ان يقف لا مبالبا أمام اى ظلم فى اى مكان فى العالم ويطلق جيفارا الأمل الثوري فى تحرير الشعوب ويؤكد على الطابع التقدمي لحركة التاريخ وان تعطلت أو خسرت الشعوب في نضالها بعض المعارك كما حدث مع " باتريس لو لومبا "ولكنة يؤكد فى ذات الوقت "استحالة وقف تقدم الشعوب "

وبعد انتصار الثورة وتحديدا فى مقالة عن فيتنام يقول جيفارا "كل شعب يباشر نضاله يبدأ كذلك فى حفر قبر للإمبريالية ويجب ان ينال منا كل مساعدة وكل أعجاب "

هكذا كان مؤمنا جيفارا بعالمية الثورة مساندا لكافة القوى التحررية وكافة الشعوب التي تواجه الحلف الاستعماري فنجدة يتجول فى مقولاتة ما بين الجزائر والكنغو والصين وفيتنام وكوريا والجزائر مساندا موجة التحرر الوطني وراسما خط تكون فيه قوى التحرر نقاط ممتدة ومتصلة المواجهة الخط الاستعماري بقيادة أمريكا وحلفائها .

موجها نقد لأمريكا والدول الرأسمالية التي تسعى دوما للسيطرة على الأسواق فى المؤتمر العالمي للتجارة والتنمية بجنيف والذي عقد فى ٢٣ مارس ١٩٦٤ أشار جيفارا فى نهاية كلمته " ستنصرف جهودنا إلى وحدة بلدان العالم النامية لتكون جبهة موحدة إننا نضع أمالنا كلها فى أنجاح هذا المؤتمر وسننضم بحرارة إلى الفقراء فى هذا العالم واضعين قوانا الضعيفة كلها فى خدمة انتصارها.

وفى خطابة أمام الأمم المتحدة فى الدورة التاسعة عشر يوجه جيفارا التحية لكل الشعوب المناضلة وجنوب أفريقيا والصومال والشعوب العربية فى فلسطين وعدن وعمان وجميع الشعوب التي تكافح الامبرالية، وفى ذات الخطاب يهاجم الولايات المتحدة الأمريكية والقوى والاستعمارية ونهجها الاستعماري فيتحدث قائلا " وتتدخل قوات الولايات المتحدة تدخلا ملموسا فى قمع الشعوب – فنزويلا وكولومبيا وجواتيمالا التي تناضل فى سبيل حريتها وتمارس الشركات الأمريكية التي حملت فيها جميع أنواع الضغوط لزيادة التغلغل المباشر.

وفى مقولة له أيضا يؤكد على ليس هناك ثمة شعوب ضعيفة إذا وجد التضامن الاممى الحقيقي ويؤكد انه لا عزل للشعوب التي تناضل لتكون جبهة واحدة ضد الامبرالية ويتحدث جيفارا قائلا " لا يوجد شعب ضعيف – فى أمريكا – لأنة جزء من عائلة تعددها مائتين مليون طفل يتألمون من البؤس ذاته ويحسون بمشاعر ذاتها ويعادون العدو ذاتة ويحظون بتضامن من جميع الشرفاء فى العالم. وكانت فكرة الأممية دوما محط تركيز من جيفارا فلم يخلو خطاب أو مقال من مقالاتة من طرح الموقف الاممى، لقد طرح تشي فى خطابة حول الحزب الماركسي أراء متعلقة بمسؤوليات ووجبات الحزب الشيوعي والتي كانت الأممية احد أركان هذه المهام والمسؤوليات فيتحدث قائلا " لا يمكن أن يقتصر عملنا على أطار أمريكا والبلدان الاشتراكية – يجب ان نمارس الأممية البروليتارية الحقيقية – مؤكدا هنا على أن اى إهانة أو اعتداء على دولة ما لابد أن يوضع كهم لكافة الشيوعيين ويضيف جيفارا "" ان اى فعل يتنافى مع كرامة الإنسان وسعادته فى اى مكان فى العالم – لابد أن نكون مهتمين به.

رحل جيفارا من الأرجنتين الى كوبا و ذهب الى بوليفيا وتشيلي والكونغو وكولومبيا وغوايتمالا ومصر والجزائر وحاول تدعيم أواصل التعاون مع كل حركات التحرر الوطني والجبهات والقوى التي تواجه الاستعمار بجميع أشكاله واكد جيفارا على الدور الاممي الذي لابد ان تلعبة اي قوى ثورية حيث يقول " اذا فقدنا حماستنا بعد ان تحقق المهام الملحة على النطاق المحلي واذا نسينا الأممية البروليتارية – كفة الثورة عن ان تكون محركا ونغرق في خمول صريح يستفيد منه أعداؤنا الامبراليون ، ان البروليتارية الأممية واجب .
يوكد جيفارا على البعد الاممي من منطلق الضرورة ومن قبل الضرورة من منطلق يؤمن بالإنسان – حيث يقول – يجب ان نناضل كل يوم ليتبدء هذا الحب الانساني فى وقائع ملموسة.

× ***البحث جزء من كتاب بنفس العنوان صدر عن دار العالمية للنشر فى كانون الاول ٢٠٠٨***

المصادر:

الإنسان والاشتراكية في كوبا مقاله لتشي جيفارا نشرت فى ١٩٦٧.

الطب الثوري مقالة ألقاها تشي جيفارا ١٩ أغسطس ١٩٦٠ للميليشيا الكوبية-ترجمه دينا ابو المعارف .

ومقالات أخرى لتشى "ضد البيروقراطية " "جيش الشعب"

بعد انتصار الثورة.....ارنستو تشى جيفارا – ترجمة فؤاد أيوب- دار الفارابي

احلامى لا تعرف حدود ..... روس فلوف – – دار الفارابي

جيفارا سيرته وكتاباته وحياته .... مجموعة مقالات نشرت فى جريدة الغرانما جريدة الحزب الشيوعي الكوبي ترجمها حسن فخر سنة ١٩٦٨– دار الطليعة بيروت.

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
مصطفى التميمي

التصحيح اللغوي
محمد حنون

صارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

كتاب جديد يضم يومياته الأخيرة:

جيفارا والثورات العربية

تواكبت ثورة ٢٥ يناير مع الإعداد لكتاب يضم القصاصات الأخيرة التي خطها تشي جيفارا قبل أن يودع العالم بأيام. وأخيراً ظهر الكتاب تحت عنوان "يوميات محارب" وحرره الصحفي الأمريكي جون لي أندرسون، ويأتي نشر الكتاب متوافقاً أيضاً مع ذكري ميلاد جيفارا الثالثة والثمانين.

كان جيفارا وحيداً ومختبئاً عن أعين حرس الديكتاتور باتيستا. وفي تلك الليلة ذاتها، حكي المحارب الأحداث الواقعة في كراسة صغيرة. يكتب في إحدى القصاصات: "أشعر بشيء لم أشعر به من قبل: الحاجة إلى الحياة. يجب أن أصحح ما أكتبه هذا في المرة القادمة". هكذا تعكس اليوميات حياة ثورية، وتعتبر أفضل سيرة ذاتية عن القائد الثوري الأسطوري، كما تعكس هاجسه بأن يكون رجلاً لا يخشي الموت، متخطياً بذلك طبيعته البشرية. في قصاصة أخرى يحكي كيف نفّذ حكم الإعدام بنفسه في الخائن الأول، في الشهر الثاني من الثورة، وهو الأمر الذي لم يُعرف إلا من خلال ما خطه. المحارب يشرح كيف فعل ذلك بجفاء ويسجل كلمات المتوفي الأخيرة. يقول أندرسون: "في تلك الليلة لم يشعر بالربو".

قصاصات جيفارا خشنة جداً، يقول أندرسون، وخالية تماماً من أية صبغة أدبية أو تاريخية، غير أنها فاتنة. يوميات جيفارا لا تخصه وحده، وشهادته ليست محض وثيقة تاريخية، فالأمر يتعلّق أكثر بثوري لم تغب صورته عن ميدان التحرير. برغم ذلك، أثار أندرسون قضية تخص الثورات العربية، وأدلي برأي يخالف تماماً مباديء جيفارا الثورية التي تؤيد أية ثورة في العالم وتنحاز إلى الشعوب المقهورة في مواجهة الديكتاتوريات. يقول أندرسون لجريدة البابيس الإسبانية "لم يعد العالم أبيض أو أسود كما كان في أيام تشي، لذلك لو كان حياً لكان موقفه معقداً. مثلاً، لن يعد التمردات السائدة في العالم العربي ثورات". وأضاف " لأنه كان سيراها خالية من الأيديولوجية. ومن جانب آخر، كان سيجد نفسه، علانية، مضطراً لانتقاد الإمبريالية الأمريكية بشكل رسمي وكذلك التدخل في شؤون ليبيا، لكن من داخله كان سيشعر بعدم الراحة أمام الفساد وطريقة قيادة هذه الحكومات".

هكذا يبدو رأي أندرسون خاصاً به لا بمناضل دفع حياته ثمناً لقضية. فجيفارا الذي جاب العالم شرقاً وغرباً دفاعاً عن الحريات ما كان ليقف موقف الصامت أمام ثورات شعبية قامت لإسقاط ديكتاتوريات هو نفسه حاربها (كان جيفارا أرجنتينياً يحارب الديكتاتور باتيستا في كوبا) كما أن الثورة المصرية على وجه الخصوص تعد أول ثورة شعبية في التاريخ، ومما لا شك فيه، لو كان التشي حياً فما كان ليكتفي بتأييدها بل كان سيشارك فيها.

تعكس كراسات جيفارا جزءاً من صورته، كما أنها تقدّم تسجيلاً لكيفية نجاح ثورة خلال عامين. فالفترة التي قضاها في سييرا مايسترا، حيث قضى شهوره الأخيرة، وكانت مميتة. لكن الثوار أسسوا خلالها أيديولوجيتهم التي اتجهت نحو اليسار. وهو الحدث الذي سجّلته اليوميات من خلال التعليقات المكتوبة يوماً وراء يوم عن المعركة، كذلك حكايات المناوشات والملاحظات حول رفاق النضال بمن فيهم فيدل كاسترو. يقول محرر الكتاب"بعض هذه الملاحظات لم تكن صحيحة سياسياً وأثارت ضيق بعض الأشخاص في كوبا عندما ظهرت في كتابي". ربما لهذا ظلت مخبئة سنوات طوالاً في أرشيف مركز تشي جيفارا للدراسات في هافانا، برغم أن الناشرين يقولون إن السبب أخطاء لغوية بالإضافة لغياب صفحات أخرى مهمة.

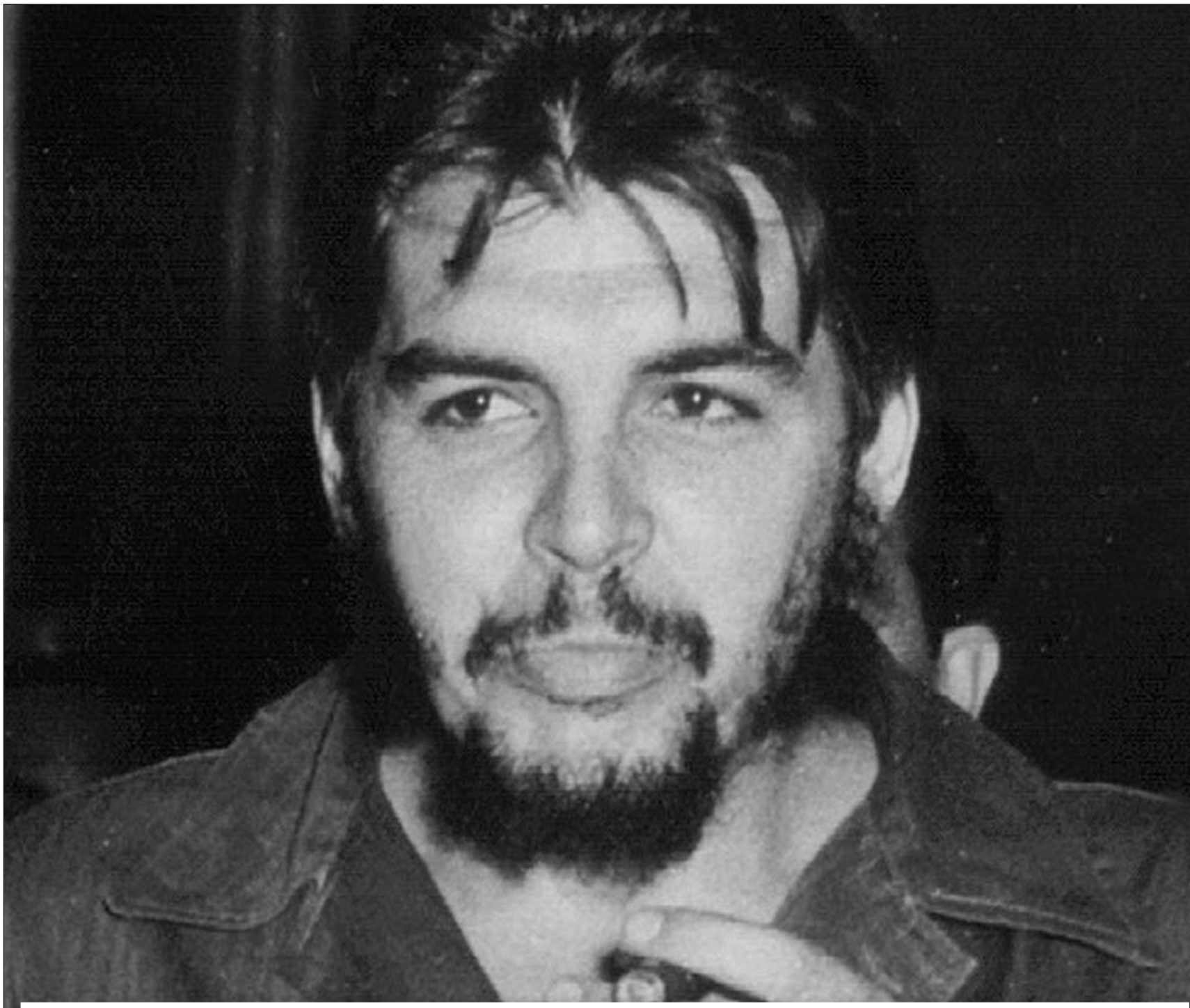

صرخة جيفارا

قصيدة للشاعر أحمد فؤاد نجم عن جيفارا

جيفارا مات
جيفارا مات
اخر خبر فى الراديوهات
وفى الكنايس
والجوامع
وفى الحواري
والشوارع
وع القهاوي وع البارات
جيفارا مات
واتمد حبل الدردشه
والتعليقات
مات المناضل المثال
ياميت خسارة على الرجال
مات الجدع فوق مدفعة جوه الغابات
جسد نضالة بمصرعه
ومن سكات
لا طبالين يفرقعوا
ولا اعلانات
ما رايكم دام عزكم
ياانتيكات

يا غرقانين فى المأكولات
والملبوسات
يا دافيانين
ومولعين الدفايات
يا محفلطين يا ملمعين
ياجيمسنات
يا بتوع نضال اخر زمن
فى العوامات
ما رايكم دام عزكم
جيفارا مات
لاطنطنة
ولا شنشنه
ولا اعلامات واستعلامات
×
عينى عليه ساعه القضا
من غير رفاقه تودعه
يطلع انينه للفضا
يزعق
ولا مين يسمعه
يمكن صرخ من الالم

من لسعه النار ف الحشا
يمكن ضحك
او ابتسم
او ارتعش
او انتشى
يمكن لفظ اخر نفس
كلمه وادع
لجل الجياع
يمكن وصيه
للى حاضنين القضيه
فى الصراع
صور كتير
ملو الخيال
والف مليون احتمال
لكن
اكيد
اكيد
اكيد
ولاجدال
جيفارا مات

موتة رجال
ياشغالين ومحرومين
يا مسلسلين رجلين وراس
خلاص خلاص
مالكوش خلاص
غير بالبنادق والرصاص
دا منطق العصر السعيد
عصر الزنوج والامريكان
الكلمه للنار والحديد
والعدل اخرس او جبان
صرخه جيفار يا عبيد
في اى موطن او مكان
مافيش بديل
مافيش مناص
يا تجهزوا جيش الخلاص
يا تقولوا على العالم خلاص

القاهرة ١٩٦٨